موسوعة القرى الفلسطينية

قسم دراسات القرى

بلدة
دالية الكرمل
قضاء حيفا

الباحث:

الأستاذ مروان الماضي

باحث ومؤرخ وتربوي

2025م

بلدة دالية الكرمل قضاء حيفا

تأليف

الباحث والمؤرخ والتربوي مروان الماضي

تدقيـــــق لغوي: علاء الدين نمر

تنسيق وتنضيد: عبد القادر الحمرة

تصميـــــــم الغلاف: محمد الدلو

إصدار

موسوعة القرى الفلسطينية– قسم دراسات القرى

2025

إهداء

إلى أجيال فلسطين والعرب أجمعين نذكرهم بأهمية فلسطين

فلسطين هذا الاسم العذب الذي تنطق به كل شفة ويتردد على كل لسان، تطرب لسماعه الآذان وتتكحل به الجفون والعينان، تهفوا له القلوب وتترنم بهوائه المشاعر والقلوب تبكي لفراقه وعيون المهاجرين تتفطر لاحتلاله الباقين والمبعدين من أصحابه عرب فلسطين.

لم تمضِ ثانية أو دقيقة خلال قرن من الزمان (من وعد بلفور عام 1917 حتى عامنا هذا 2017) إلا ويذكر اسم فلسطين فيه أجواء الكون تحمله موجات الأثير المسموع منها والمرئي والمقروء حتى باتت فلسطين تملأ الدنيا وتشغل الناس.

لماذا كان لفلسطين هذه الأهمية لأصحابها وللعرب والعالم أجمعين؟

- موقعها الذي يصل قارات العالم القديم (آسيا، أوروبا مع أفريقية).
- إنها صلة الوصل بين جناحي العرب في آسيا والجناح العربي الإفريقي.
- تتميز تضاريسها بساحل طوله 240 كم يطل على البحر الأبيض المتوسط وهو البوابة الواسعة للجزيرة العربية والعراق والأردن وجنوب سورية على البحر المتوسط.
- فيها السهول الخصبة والهضاب المكسوة بالخضرة من نباتات وأشجار برية وزراعات من حبوب وبقول وأشجار مثمرة من كل الأنواع كروم وزيتون وتين ولوزيات وحمضيات وهي أرض السمن والعسل.
- فيها قمم الجبال المكسوة بالثلوج بالجرمق وكنعان بصفد وفيها أخفض نقطة في العالم في البحر الميت –435 م تحت سطح البحر.
- هي مهبط الأديان السماوية (يهودية– مسيحية– مسلمون).
- تمازجت فيها الحضارات القديمة مصرية كنعانية بابلية آشورية كلدانية وآموريه ويونان ورومان وفرس وغيرهم.
- عبرتها الجيوش الجرارة وجرت فيها المعارك الفاصلة مثل معركتي عين جالوت وحطين.
- التقت فيها البضائع والسلع من الكتان والسكر والقطن المصري مع التوابل الهندية والبن والصمغ اليمني والتمور العراقية والبروكار الحريري الدمشقي والسجاد الفارسي والزجاج الخليلي والأصبغة الفينيقية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

إهداء **4**

تقديم **8**

المقدمة..... **10**

الفصل الأول لمحة جغرافية **11**

الموقع..... 11

المواصلات..... 12

الفصل الثاني لمحة تاريخية..... **17**

تحت حكم الفرنجة 18

الفصل الثالث الناحية الاقتصادية..... **24**

الزراعة 24

الصناعة 24

التجارة 26

الخدمات 27

الفصل الرابع الحياة الاجتماعية والثقافية وأعلام دالية الكرمل..... **28**

القصة والمسرحية في واقع الثقافة الفلسطينية..... 28

أعلام في دالية الكرمل 29

عبد الله القرا..... 29

سميح الناطور 30

مجيد حسيسي 30

مصباح أديب الحلبي 31

معين محمد حاطوم..... 31

منى حاطوم 31

نزيه أمين خير 32
وهيب نديم وهبة 32
يوسف فخر الدين 33
فرحان بيراني 33
فرحات رجا فرحات 35
ملحم خطيب 35
الفصل الخامس الحياة الاجتماعية 36
في الفلك (التقويم الشعبي) 38
الطب الشعبي 43
النباتات والمعتقدات 43
الفن والفنانين 44
الافلام والمسرحيات 46
الفصل السادس عادات الخطبة والزواج 48
الخطبة 48
التحضير للزواج 49
الفصل السابع مجازر الصهيونية في شعب فلسطين 56
الفصل الثامن سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة "إسرائيل" 62
الفصل التاسع أدب المقاومة السلمية 69
التمثيل والمسرح 69
الفصل العاشر انتفاضات شعب فلسطين 78
الانتفاضة الأولى (انتفاضة الحجارة) 80
الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى) 82
الانتفاضة الثالثة (انتفاضة القدس لنصرة الأقصى) 84

المصادر والمراجع.....86

تقديم

عندما يذكر اسم مروان الماضي يشعر المرء أنه أمام شخصية مميزة استثنائية من حيث الثقافة الواسعة والخبرة الحياتية الغزيرة بالمعلومات وامتلاك ادوات البحث والنزعة الإنسانية التي تحكمها قيم الحرية والعدالة والمساواة ز ولهذا كله أو بسبب هذا كله عددت اهتماماته: فهو الأديب، الكاتب، المؤلف، المثقف، الملتزم المعلم، والتربوي الكبير...إلخ.

كلها اهتمامات تصب في بوتقة واحدة: بوتقة محبة الوطن فلسطين ففي كل حركة وفعل تبدو فلسطين النازفة ماثلة أمام عينيه تستحوذ غلى فكره وعقله وإحساسيه. ويدرك الأستاذ مروان "أن الوطن" فلسطين قد تعرض لأبشع صور الاستعمار الاستيطاني له أيديولوجية خاصة وهذا فرض ممارسات استعمارية مثل إزالة القرى من الوجود ومحو الأسماء وطمس المعالم وسرقة الآثار وتشويه التراث وتزييف الوثائق ونفي الهوية الوطنية وإفناء الوجود المادي لأبناء فلسطين وأصبح الصراع صراع وجود.

وتؤدي هذه الممارسات إلى احتلال الذاكرة ويدرك الأستاذ مروان الماضي أن احتلال الذاكرة أخطر من احتلال الأرض على اعتبار فقدان الذاكرة هو فقدان الشخصية الفلسطينية ماضيها وحاضرها ومن ثم مستقبلها، ولهذا اختار نسقا خاصا في الكتابة يتمثل في:

كتابة التاريخ الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي للقرى والمدن الفلسطينية وهو نسق خاص في التأليف يعتمد على التوثيق والدقة وإجلاء الوثائق يهدف الى شحذ الذاكرة الوطنية الفلسطينية وجعلها حية متوهجة وفاعلة على الدوام،ولهذا فإن كتاباته تندرج في إطار واجهة ومجابهة الممارسات الصهيونية أي تتدرج في إطار أدب المقاومة إذا استخدمنا كلمة أدب بالمعنى العام.

ويبدو أن شحذ الذاكرة وهي مهمة وطنية وملحة في محاولات التذويب والطمس والنفي كلها فرضت كتابة تتصف بالشمولية، وعندما يكتب عن مدينة الطيبة مثلا نراه يبدأ من التسمية والموقع الجغرافي ثم ينتقل إلى البعد التاريخي للغزوات والتضحيات ثم النشاطات الاقتصادية مثل الزراعة وادواتها وعلى الحياة الثقافية وما تتطلبه من ذكر الأعلام والأدباء والمبدعين والمدارس والتعليم والمؤسسات والمراكز الثقافية دورها في إحياء التراث وحماية الهوية الوطنية من الذوبان إلى الفولكلور و غناء ودبكات إلى مقاومة الظلم وإبراز

التضحيات في سبيل الوطن وكل هذه المحاور ترصع بالصور والخرائط والبيانات الأخرى ويسعى هذا الجهد التوثيقي العلمي إلى:

- تأكيد الحق للفلسطينيين عبر التاريخ
- تأكيد خصوصية الشخصية الوطنية
- الحفاظ على كل شئ (إحياء اللهجة والعادات وكل شئ يؤكد ملامح الشخصية الوطنية وقسماتها).

ولا أريد هنا أن الخص للقارئ ما كتبه المؤلف لأني حريص على أن يقرأ القارئ ما كتبه المؤلف حتى يشعر حرارة للإخلاص بالحس الوطني الصادق بالتماهي مع المكان وناسه وتاريخه ويمنح العلم والمعرفة أهمية بارزة وبإيمان يقيني بحق العودة وتحرير فلسطين ووحدة العرب.

د.شكري عزيز الماضي

المقدمة

جاء اختيار الصهاينة عزل أنفسهم عن المجتمع العربي الفلسطيني من دخولهم أرض فلسطين، واستخدموا كل الأساليب العنصرية في بناء مجتمعهم الخاص فأقاموا المستعمرات المغلقة وبشكل خاص المزارع الجماعية (كيبوتز وموساف) واستطاعوا بناء 50 مستعمرة حتى عام 1935 واستمروا في تحويل الأراضي فيها لمصلحتهم، ثم أخذ عددها ينمو ويتطور، وكانت هذه المستعمرات هي التشكيل الأساسي لتنظيم زراعي اجتماعي عسكري ليصبح وسيلة فاعلة من وسائل التحدي للمقاومة العربية وتكوين مجتمع قادر على حماية نفسه في ظل الخوف الذي جلبه لنفسه من المقاومة العربية.

وقد أدى هذا الموقف الانطوائي إلى توسيع الهوة والمسافة الاجتماعية وزيادة العداء بين بين سلطة الاحتلال والعرب وترسيخ الكراهية والحقد بين أصحاب أرض فلسطين والغزاة الأغراب الذين جاؤوا ليجعلوا صاحب الأرض غريباً في أرضه.

إن المجتمع الغربي الأوروبي الأمريكي ثم الروسي الذين اشتركوا في زرع إسرائيل وسط بحر من العرب الذين يحاربون الوحدة ويرضون الخنوع حتى للبغاث الذي يجعلوه نسراً في بلادنا وحولوا ديارنا نهباً للطامعين حتى باتت جيوشنا تدمر بيوتنا عوضاً عن حما الوطن وليس على عدو افتراضي هل حماس الولايات المتحدة الأمريكية في مساعدة إسرائيل ومناصرتها ظالمة كانت او مظلومة رغم تحديها للمجتمع الدولي حتى أصبحت عبئاً على حلفائها؟ هل وقوف الغرب الاستعماري وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية في خدمة إسرائيل ها هذا الحماس هو حباً، حباً باليهود أم كرهاً بالعرب؟

والجواب عندي هو أن زعماء الصهاينة المفسدون في الأرض إفساداً سرمدياً سيكون سلوكهم مدمراً لهم بعد أن وصلوا في ذروة من الأمل في قوتهم وتباهيهم بما حققوه من طموحات وإذا لم يعترفوا بظلمهم للعرب فإن الميزان ليس مستقراً في العالم وسيكون دمارهم على يد من صنعهم وسيعودون قردة خاسئين إن لم يؤمنوا بالسلام بإقامة دولة علمانية منفتحة تعي السلام مع إخوانهم العرب والخاتمة للمتقين.

المؤلف

الفصل الأول

لمحة جغرافية

الموقع

تقع بلدة دالية الكرمل على قمة جبل الكرمل وفي وسطها الجنوبي تبعد عن حيفا 31 كم، ترتفع عن سطح البحر 420 م عند بلدة دالية الكرمل وجبل الكرمل هو امتداد لجبال نابلس مكوناً جزءها الشمالي الغربي ويبدأ هذا الجبل من وادي الملح – الذي تصب مياهه في نهر المقطع في ظاهر"تل القسيس" الجنوبي – وينتهي على شاطئ البحر الأبيض المتوسط عند مدينة حيفا طوله نحو15 ميلاً وعرضه يتراوح بين 4–5 أميال وأبعد نقطة منه تدخل في البحر وفي جهته الشمالية تعرف باسم رأس الكروم.

تكسو الأحراش هذا الجبل من كل جهاته وسفوحه وتتوج أشجار السرو الصنوبرية قمته وأشجار البلوط والسنديان تلوح سفوحه بألوان خضرة يانعة، وتتكون صخوره من الكلس المائل للتبلور هذه الصخور التي تشرب مياه المطر، تختزنه في جوفها حيث يعمل الماء بتذويب الصخر ويحدث المغائر والكهوف وخزانات المياه الطبيعية وتكثر الينابيع في أطراف الأودية وأخاديدها.

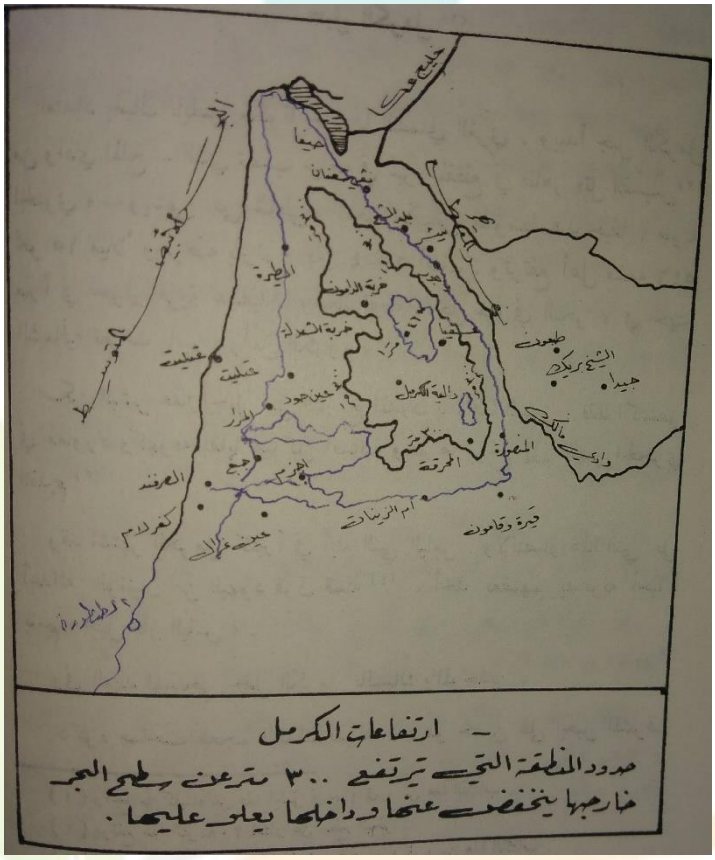

سكن البشر هذا الجبل قبل التاريخ المدون بآلاف السنين فقد اكتشف علماء الآثار في مغاويره وكهوفه بقا يا هياكل إنسانية وغيرها ترجع الى العصر الحجري القديم.

وقد اشتهر الكرمل كثيراً في أيام النبي إلياس، ولانتصار هذا النبي على أعدائه الوثنيين من اليهود في قمته وقد أخذ بعضهم يدعونه " جبل مار إلياس".

تميز موقع دالية الكرمل بما يلي:

- إطلالتها الرائعة والمتربعة على وسطه الأعلى حيث ترى البحر في أطرافه الشمالية والشرقية وسهل حيفا الشرقي والخليج شماله، المكسي بالخضرة ونهر المقطع يمخر السهل بسيره الملتوي والبطيء كما ترى المعامل والمصانع والسيارات والقطارات تسبح في شبكات من الطرق المعبدة والسكك الحديدية تجري كجري الظباء والحيات.
- كما أن الجو فيها كأحسن الأجواء يلطف البحر حرارتها في كل الفصول والأزمان.
- ويقنص مياه الغيوم ويحفظها في جوفه ليخرجها للبشر لشراب الناس والحيوان ثم لري النباتات وما أكثرها أن نسيم البحر اذي تتمتع به البلدة يأتيها بالندى ويلطف الجو ويساعد المزارعين في الزراعة البعلية.
- إن موقع البلدة وقربها من حيفا سهل على المواطنين فيها التنقل لبيع منتوجاتهم من ألبان ولحوم دواجن وبيضها ثم بيع الخضروات والفواكه وشراء ما يلزمهم من المواد ويؤمها الكثير من السياح والزوار طيلة العام لقربها من عاصمة القضاء حيفا وبشكل خاص بلدة عسفيا.
- تتحلى بيوت القرية بجدرانها البيضاء الناصعة يتوجها القرميد القرمزي الألوان فالناظر من فوقها يراها كلوحة رسمها فنان أصيل ويزيد من جمالها أشجار الصنوبر والسرو والسنديان.
- تضم أراضي البلدة السهل والجبل تبلغ مساحة أراضيها 10000دونم وهي ملك لسكانها وهي من الأراضي الزراعية نصفها سهلي والنصف الآخر جبلي تزرع بشكل عام بالأشجار المثمرة من التفاح والأجاص والعنب كما تزرع الخضار بأنواعها ويصدر أكثرها الى أسواق حيفا وقد استطاع الفلاح فيها كسب أراضي جديدة بخلق المصاطب في الجبال لزراعة وبناء حظائر تربية النحل والدواجن والأزهار كم زرع أهلها الحبوب والبقول بأنواعها يصدر الفائض منها للأسواق المحلية والى الخارج.

المواصلات

تتصل البلدة بطرق معبدة تصلها بحيفا ثم إلى البلدان الواقعة شرقاً إلى شفا عمرو والناصرة وبلدان الجليل الأدنى ثم الى عكا وصفد ومن الجنوب طريق معبد يصلها بإجزم ثم يتجه جنوباً إلى الغرب ليصل إلى الطريق العام الساحلي الى يافا وحيفا.

تجاور دالية الكرمل مدينة حيفا القريبة منها يبلغ عدد يبلغ عدد سكانها 12000 نسمة عام 1990 منهم 97% دروز 3% مسلمون ويتوزع السكان على2900 وفي عام 2012 بلغ عدد سكانها 15847 نسمة موزعين على 3000 وحدة سكنية.[1]

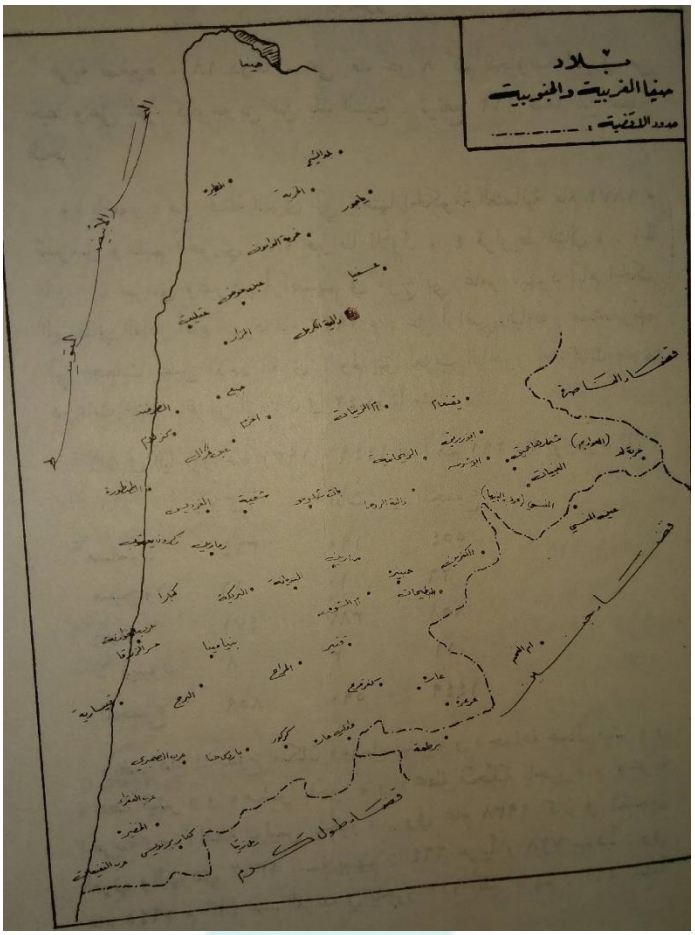

ومن العوامل الأخرى والذي جعل لبلدة الدالية هذه الشهرة وجودها في أراضي مرتفعة يضمها السهل والجبل صخورها كلسية مارنية وقد تبلور بعضها واستفاد الإنسان منها في صناعة الكلس وساعده وجود الحطب لحرق هذه الأحجار في حفر وكان يبني الأحجار بالحفرة بشكل قبة ويجعل لها باب يدخل خشب الأشجار ويشعلها فتحرق النار الحجارة ويدعى (أتون) وبعد يوم من الحرق يقوم عامل بطمر سطح الحجارة بالتراب ويبقي النار هادئة لمدة يوم آخر حتى يبرد فيزيل التراب وينقل الحجارة إلى جانب آخر متوخياً حماية يديه من الكلس الحي الحامي بواسطة قفازات واقية أو يلف يديه بجلد أو قماش لتجنب الأذى (الشيد) وعند الاستعمال توضع الحجار بوعاء كبير وتطمر بالماء حتى تبرد وتخلط مع الرمل لتصبح ملاط يستعملها البناؤون في البناء.

- ربطت البلدة بشبكة المياه عام 1958 وبالكهرباء عام 1964 وأول هاتف كان عام 1953 إلى جانب مد مجاري شبكة المياه.
- ينبع وادي الغارة وهو وادي شتوي يأخذ مياهه من تلال دالية الكرمل وبعد أن يمر بالقرب من قريتي إجزم وجبع وخربة الشيخ بريك ينتهي إلى البحر بالقرب من (خربة المالحة) بين قريتي عتليت والصرفند.

[1]: المدن والقرى العربية في إسرائيل مركز يافا الأبحاث، ص110.

- وفي العهد المسيحي، حفل الكرمل بالنُسَّاك والموحدين ذكره ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان فيقول (هو حصن على الجبل المشرف على حيفا بسواحل بحر الشام، وكان قديماً في الإسلام يعرف بمسجد سعد الدولة.(1)[2]
- وفي القرن الثامن عشر(1783—1785) مر الرحالة فولني بالكرمل فقال: وجبل الكرمل الذي يشرف على ما حوله له ظهر مسطح صخري يرى عليه إلى جنب العوسج الزيتون والكرمة البرية مما يدل على أن الزراعة امتدت إلى سالف الأزمان إلى هذا المكان، وعلى قمته معبد مكرس لإيليا (الياس) النبي وإلى الجنوب سلسلة.
- وعلى جبل الكرمل تأسست (رهبانية الكرمل) وذلك أنه بعد أن استرد صلاح الدين بيت المقدس تكاثرت الرهبان والنساك حول جبل الكرمل. وفي عام 1212م طلب الرهبان من ألبرت بطريرك عكا أن يرسم لهم قانوناً لرهبانيتهم ففعل وهكذا تأسست الرهبانية التي نسبت الى الكرمل ثم كثر عدد أتباعها وانتشروا في مختلف أنحاء أوروبا.

بعد سقوط عكا بيد أهل البلاد عام 1291 اضطر سكان الكرمل إلى الهرب وخلت البلاد منهم، وفي عام 1767 نزل الكرمل مجموعة من الكرمليين وأقاموا ديراً على قمة الجبل ولما جاء نابليون إلى حصار عكا اتخذه مشفى لجرحاه وللمصابين بالطاعون، ولما خرج من البلاد أحرق الدير وفي عام 1827 جددوا بناؤه على علو 558 قدماً عن سطح البحر.

من سطح الدير هذا يمتد النظر إلى عكا وفنار صور في الشمال وإلى ما وراء قيسارية في الجنوب وإلى مرج بن عامر وجبال الجليل وجبل الشيخ في الشرق وإذا كان الجو صافياً يمكن رؤية البلاد القائمة في شمال شرق الأردن.

- وبالقرب من الدير أقام العثمانيون فنار حيفا وتغطي أشجار السنديان والصنوبر والبلوط وأشجار اللوز البري وغيرها جبل الكرمل كما نمت فوق أشجار الزيتون وغرائس الكرمة وغيرها من الأشجار المثمرة ويعتقد أن هذه الأشجار كانت تملأ الجبل كما يدل على ذلك اسمه (الكرمل بمعنى مثمر) وقد اندثر الوعل (اليحمور).[3]
- الزيتون: يعتبر قضاء حيفا بأسره صالحاً لزراعة الزيتون وخصوصا في مناطقه الجبلية فسلسلة جبال الكرمل تحتوي على آلاف الدونمات الصالحة لهذه الشجرة وهي فوق ذلك مستنبت طبيعي للزيتون البري ومنها تستمد أكثر أروماته، وكان المفروض أن تحتل مدينة حيفا وقضاءها المرتبة الأولى دون

---

[2]: مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين– القسم الثاني– الجزء السابع**، بيروت: دار الطليعة، 1965، ص 473.

[3]: اليحمور نوع من أنواع الأيائل قصير الذنب لكل قرن من قرنيه ثلاث شعب.

منازع في أعداد شجرة الزيتون وإنتاجه إذ تعتبر الشقة الشمالية الشرقية والشرقية لجبال الكرمل حتى قرية المنسي كثيرة المواقع الصالحة لزراعة الزيتون وهي الآن جرداء تغطي قسما منها أحراج السنديان والسريس، وتحتل دالية الكرمل الدرجة الخامسة في إنتاج الزيتون في قضاء حيفا بعد الطيره شفا عمرو إعبلين دالية الكرمل ثم إجزم.

- بلغ عدد الدونمات المغروسة بالزيتون 22805 دونمات منها 20551 للعرب و2254 لليهود.

الجدول التالي يمثل محصول الزيتون لسنتين:

العام	الموقع	المساحة المثمرة بالدونم	متوسط إنتاج الدونم/ كغ زيتون	المحصول بالطن
1938	القرى العربية	12600	90	1134
	المستعمرات	1700	55	93
1942	القرى العربية	19119	165	3145
	المستعمرات	1980	178	353

إن إنتاج حيفا وقضاءها لا يكفي حاجة السكان وليس القضاء عنده القدرة على التصدير بالوقت الحاضر.

- تشتهر حيفا وقضاءها بتربية الحيوان أيضا لوجود المرعى وتوفر العلف والجدول التالي يبين لنا أعدادها لعام 1942- 1943:

نوع الحيوان	الأعداد
الخيول	2743
البغال	921
الحمير	6247
الجمال	64
الجاموس	25974
البقر	31412
الغنم	14743
الخنازير	105
الدجاج	187587

الإوز والتركي	15005

مزروعات القضاء

في الجدول التالي يبين محصولات القضاء لعامين بالطن المتري:

العام	الموقع	الحنطة	الشعير	العدس	الكرسنة	الفول	حمص
1939	القرى العربية	4737	3220	239	574	141	854
	المستعمرات	1426	2053	239	0	43	1
1943	القرى العربية	4393	4134	540	1050	182	1008
	المستعمرات	1683	1722	80	0	51	32

العام	الموقع	الذرة	السمسم	الزيتون	البطيخ	العنب	التين
1939	القرى العربية	1642	155	2211	10533	1574	656
	المستعمرات	40	0	776	1480	4357	7
1943	القرى العربية	2100	438	3900	4995	1618	680
	المستعمرات	36	0	550	1444	4727	10

الفصل الثاني

لمحة تاريخية

سكن الكنعانيون العرب ديار حيفا وعمروا البقعة التي تقوم عليها هذه المدينة والكثير من مدنها وقراها منها برج سترابون وقيسارية وعتليت ودور (الطنطورة) وجميعها موانئ كنعانية فينيقية و(بيت لحم) و(عرونة) وباطن (إبطن) فضلاً عن بلدان وقرى وخِرَبْ مازالت بقاياها ظاهرة.[4]

بيت داجون – الجلمة العتيقة 13 كم للجنوب الشرقي من حيفا – وفي ظاهر الجلمة الشمالي الشرقي (حروشة– تل العمار+ دباسة – تل الشام +خربة الشيخ بريك– وخربة قطينه و يقعام– وتل قيمون– وخربة الأساور) وغيرها.

وعلى شواطئ هذا القضاء نشبت أول موقعة بحرية مصورة عرفت في التاريخ العالمي، إذ وقعت بين المصريين والإيجيين عام 1191 ق.م، في عهد رعمسيس الثالث، وفي عهده أيضاً تمكن (الكثاليون) من أن يؤسسوا دولة لأنفسهم في الطنطورة وأطرافها إلا أن الفلسطينيين الآتون من كريت حلوا محلهم بعد امتلاك الساحل من غزة إلى الكرمل، ثم خضعت حيفا إلى حكم أقوام عديدة وكان آخرها الرومان.

وبتسليم قيسارية عام 19 هـ – 640 م إلى معاوية بن أبي سفيان تم الاستيلاء العرب المسلمين على بلاد الشام الذي ابتدأ عام 633 م، وبعد هذا الفتح المبين بدأت القبائل العربية تنزل فلسطين واستقرت في حيفا وأطرافها قبيلة جذام وكانت زمارين –بيت زماراء من منازلهم وقبيلة بني عامر في مرج بني عامر وقبيلة بني لام التي خلدت اسمها في كفرلام والتي أقامها الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك وجميع هذه القبائل من العرب القحطانية، وبعد ذلك استقرت ناحية حيفا جماعة من بني مخزوم (القرشية) ومنهم العائلة التي حملت اسم القيسراني– كما استقرت جماعة أخرى منهم في يبنا وأطرافها من أعمال الرملة.

وتمتعت منطقة حيفا في العهد العربي الإسلامي بخيراتها الكثيرة وفواكهها العديدة مثل النخيل والعنب والنارنج والترنج.[5]

وفي حروب الفرنجة كانت البلاد بشكل خاص قضاء حيفا وعكا والناصرة مسرحا لحروب دامية ومن المناطق التي ورد ذكرها في تلك الحروب شفا عمرو وعتليت وحطين وقيسارية وغيرها.

---

[4]: مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين– القسم الثاني– الجزء السابع**، بيروت: دار الطليعة، 1965، ص 471.

[5]: المرجع السابق.

وبعد أن استولى الفرنج على بيت المقدس عام 1099 بقيت حيفا تابعة للدولة الفاطمية وكان لها حامية صغيرة، وفي حزيران سنة 1100 وصل إلى حيفا أسطول بندقي من مائتي سفينة، وكانت هذه الحملة قادمة إلى الشرق للمشاركة بالحروب الصليبية من ناحية ولتحقيق ما يمكن تحقيقه من مكاسب للبندقية وذلك أسوةً بما فعلته بقية الجمهوريات الإيطالية التجارية في عصر الحروب الصليبية. وقد عرض البنادقة خدماتهم على دولة بيت المقدس للمساهمة في حرب المسلمين بشرط أن يكون لهم الثلث في كل مدينة يساعدون في الاستيلاء عليها ليتخذوا من ذلك الثلث حياً تجارياً لهم يباشرون نشاطهم التجاري، وبعد الموافقة على طلبهم أخذ أسطول البنادقة بالإبحار إلى خليج عكا، فيما كان أمير الجليل (تنكرد) يخيم مع جيشه على منحدرات جبل الكرمل، حيث أخذ الجميع بتوحيد جهودهم ضد حيفا والتي كانت تدافع عنها حامية مصرية صغيرة.

وبعد نضال عنيف، أخذ الفرنجة بمهاجمة البرج الرئيسي في خطوط الدفاع، وشقوا طريقهم إليه وهرب إلى عكا وقيسارية كل من استطاع أن يفر من سكانها وسقطت حيفا حوالي تموز 1100.

بقيت حيفا بيد الإفرنج إلى عام 1187 حيث عادت لأصحابها على أثر صلاح الدين في حطين في تلك السنة، وقد أمر صلاح الدين بهدم أسوار حيفا وحصونها بعد أن أخلتها حاميتها، وبموجب صلح الرملة عام 1292 كانت حيفا ضمن المنطقة الساحلية من صور إلى يافا.

تحت حكم الفرنجة

في عام 1250—1251 اهتم لويس التاسع ملك فرنسا بتحصين حيفا وقيسارية حتى إذ كان عام 663 هـ- 1265م تعرضت لهجوم الظاهر بيبرس ولاحق الفرنج الذين لاذوا إلى مراكبهم بالبحر فدخلها أمراء الظاهر بعد أن قتلوا من الفرنج الكثير فخربوا المدينة وهدموا القلعة وأحرقوا أبوابها في يوم واحد.

وهكذا بقيت حيفا مهجورة لمدة طويلة الى أيام حكم الأمير فخر الدين المعني الثاني والذي كانت جنوده تنزل "برج حيفا" حفظا للأمن إلا أن هذا لبرج هدمه (أحمد بن طرباي)، الأمير الحارثي على أثر الاتفاق الذي جرى بينه وبين المعني عام 1623.[6]

وفي عام 1749 دخلت حيفا تحت حكم الشيخ ظاهر العمر فأخذت تنموا وتتقدم كما أعاد لها حصونها وأبراجها وأسوارها، وبنى قريباً منها بربع ساعة بلداً دعاها العمارة الجديدة حتى غلب بعد ذلك اسم حيفا الجديدة ثم أقام فيها برجاً خوفاً من القرصان.

[6]: المرجع السابق.

وعند اقتراب نابليون في حملته من حيفا أمر باحتلالها وكان له ذلك في 17 آذار عام 1799 وأقام قيادته على جبل الكرمل وفي 21 من الشهر المذكور تمكن الفرنسيون من القبض على عدد من الإنكليز كان سدني سميث أرسلهم براً إلى حيفا للاستيلاء على بعض السفن الفرنسية الصغيرة الراسية هناك، وعند انسحاب نابليون بعد فشله باحتلالها وصف المراقبون جيشه المتقهقر بما يلي:[7]

"كنا نتمنى أن لا نرى منظر الموتى والمحتضرين البشع وإذ نحن نرى في دخولنا حيفا با لليل نحو مائة مريض وجريح تركوا وسط ميدان فسيح، وقد ملأ هؤلاء المساكين الجو بصراخهم ومعاناتهم وكان البعض منهم يمزقون أربطتهم ويتمرغون في التراب".

بعد أن كانت حيفا في منتصف القرن التاسع عشر قرية متواضعة أخذت تنموا سريعاً ففي عام 1887 أصبحت مركزاً لقضاء يحمل اسمها، وفي تموز من ذلك العام أخذت بنياتها الجديدة تقام خارج بورها وتحصيناتها التي تهدمت لجهة عكا والناصرة وإلى شواطئ البحر حيث البساتين والنخيل، وفي قسمها الغربي استقر الألمان في حي خاص بهم عرف بشوارعه النظيفة وبيوته المنظمة وبساتينه النضرة ويعود استقرار الألمان في حيفا إلى أيام السلطان عبد العزيز العثماني الذي سمح لهم عام 1868 بتأسيس أحياء.

وفي عام 1869 نزلت أول جماعة ألمانية أرض حيفا وفي العام التالي قام المهندس (شوماخر) بوضع خريطة للحي، وفي عام 1898 زار حيفا في طريقه إلى القدس إمبراطور ألمانيا غليوم الثاني حيث نزل من يخته في ثغر حيفا قادماً من إستنبول تحرسه دارعتان ألمانيتان، وفي اليوم التالي توجه الإمبراطور وزوجته والحاشية إلى منزل القنصل الألماني وفي الحديقة استقبلا الجالية الألمانية، وقدمت لهما باقات الزهور وبعض الهدايا المصنوعة من خشب الزيتون ثم غادر الحديقة الى دير الراهبات الألمانية فالكنيسة الألمانية ومنها سارا في موكبهما قاصدين قيسارية.[8]

في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أخذت حيفا – قصبة القضاء –تنمو وتتقدم بسرعة حتى حلت محل جارتها عكا في تجارتها وازدهارها وعمرانها.

وفي أواخر أيلول من عام 1918 ابتدأ على حيفا ومنطقتها عهد كله ثقيل و تشريد وتدمير انتهى بتهويد البلاد وإزالة صبغتها العربية الإسلامية بوعد بلفور الظالم ومباركة حكومته العتيدة وجيشه القابع في فلسطين المغتصبة وحمايته الأسطورية في ذبح الشعب العربي الفلسطيني خلال ثلاثة عقود من الزمن

---

[7]: مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين القسم الثاني– الجزء السابع**، مرجع سابق، ص: 471.

[8]: المرجع السابق.

طيلة انتدابه على أرض لا يملكها لشعب لا يستحق غريب إن حكومة الانتداب البريطانية رائدة الاستعمار القديم حاولت حكم فلسطين لتقوم بتنفيذ وعد بلفور بكل الوسائل للأسباب التالية وما أكثرها:

- زرع قوم غرباء في وسط بلاد العرب لتفصل الجناح العربي الإفريقي عن الشعب العربي الآسيوي وقتل وحدة العرب كما أن وجود دولة يهودية خاضعة لهم يهدد التعدي على قناة السويس.
- إنهاء المسألة اليهودية التي أحرجت أوروبا ودوختها عبر القرون واتخلص منهم ومن مشاكلهم.
- تأمين الهجرة الصهيونية بأفواج وجماعات دون دون مراعات للاستيعاب والذي ركز عليه وعد بلفور.
- لقد بنت بريطانيا في فلسطين معسكرات لجنودها في فلسطين تستوعب لإقامة 80000 جندي موزعة بكل أنحاء فلسطين فيها بنية أساسية الخلق والوجود لتقدمها هدية للصهاينة على طبق من ذهب بينما دولة الانتداب آلاف من بيوت العرب من نشطاء فلسطين.
- أقامت بريطانيا وبنت أكبر ميناء بحري في مدينة حيفا وأخلته لليهود عام 1948 ويعتبر هذا الميناء أكبر ميناء على البحر الأبيض المتوسط بعد ميناء مرسيليا في فرنسا يصلح للحروب والتجارة والسياحة مجهز بأحسن المعدات.
- أقامت بريطانيا مصفاة بترول في حيفا أيضا ومدت لها الأنابيب من كركوك وكان عمال المصفاة من العرب وكذلك عمال الميناء البحري.
- لقد أنشأت دولة الانتداب شبكات من الطرق المعبدة لتسهيل حركة جنودها في الحرب العالمية الثانية ولم تستخدمها إلا لإخماد ثوار فلسطين ونشاطاتهم.
- كما أنشأت خطوط حديدية من النوع العريض يصل المدن الفلسطينية مع بعضها ومع مصر ولبنان ثم سورية عن طريق خط حديد ضيق من حيفا إلى درعا وهو الخط الذي أقامته الدولة العثمانية عام 1905.
- أنشأت دولة الانتداب المطارات الجوية منها المدنية مثل مطاري اللد وقلنديا إلى جانب المطارات الحربية العفولة- عكا – بئر السبع-أريحا وغيرها.
- أقامت بريطانيا الأبنية لمراكز الشرطة (البوليس) وتعد بالعشرات إكراماً لدولة إسرائيل لإهانة عرب فلسطين وتمكين العصابات الصهيونية من إقامة دولتهم على جماجم أهل فلسطين ودماء أطفالهم العبيطة وإخراجهم من بيوتهم واراضيهم واستباحة أثروتهم وأملاكهم لقد سهلت هذه المرافق والمنشآت على دولة إسرائيل قيامها واعتراف الغرب المنافق بها وأشاحه الوجه عن أبناء فلسطين الذين شردوا من ديارهم ومطاردتهم وسلب حرياتهم حتى من أبناء جلدتهم.

هذا ما فعلته بريطانيا في الثلاثين عاماً من انتدابها لفلسطين لتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين بينما قتلت 50 ألفاً وجرحت السبعين ألفاً من أهلنا ودمرت آلاف المنازل واعتقلت الآلاف أيضا بحجة معارضة وعد بلفور ومقاومتهم الاحتلال البريطاني لفلسطين.

لقد حكمت سلطة الانتداب على مناحيم بيجن بالمؤبد لتفجيره فندق الملك داوود بالقدس وذهب ضحيته مئة من العاملين فيه كما قام هذا الإرهابي بإعدام الجنود البريطانيين على فروع أشجار الزيتون ثم خفف الحكم إلى عشرين سنة ولما أصبح بيجن رئيساً للوزراء جاء زائراً لبريطانيا وكنت آنذاك هناك ورأيت بعض الناس ممتعضين من زيارته ولما سألتهم كيف يزوركم وهو محكوم من قبلكم وأجابوني " لقد سقط الحكم عليه لمرور عشرين سنة بحكم قانونهم" بينما كانوا أثناء وجودهم بفلسطين يعدمون الشاب الفلسطيني إن وجدوا معه خنجراً أو رصاصة.

إن الأمم المتحد هذه الأيام باتت سلاحاً تستخدمه الإمبريالية الأميركية بكل جرأة وافتخار فقلبت المفاهيم وشوهت الأخلاق وقتلت العدل وابتزت الضعفاء ورجعت بالإنسانية إلى عصر الغاب، وقامت الولايات المتحدة اعتمدت وتقوم في استعمارها على تنصيب حكام على العرب وتزويدهم بالسلاح ليس لحماية شعوبهم من الأعداء وإنما تحويلها بتدمير شعوبهم ليزداد أنتاجهم للسلاح وبيعه بأسعار خيالية تعد بالمليارات من الدولارات وفي بعض الحلات وما أكثرها مثل صفقة الأواكس التي بلغت 56 مليار دولار عام 1980، كما حفظت الولايات المتحدة جنودها من القتل في المعارك وتحول المعارك والقتل على شباب العرب كما يحدث في العراق وسورية واليمن وليبيا هذه الأيام والأمم المتحدة تلعب بها الولايات وتوقف أهدافها وتشوه مسارها غير ملتزمة بالعدل والمواساة ونشر السلم في العالم.

الدروز: فرقة إسلامية إسماعيلية فاطمية تؤمن بإمامة الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي تولى الخلافة في رمضان 386هـ/996 م، وقد قام بأعمال اتسمت بالتناقض الظاهري الشديد فاختلفت فيه الآراء قديماً وحديثاً.

رأى بعض المؤرخين أن أعماله هذه وبطشه بكبار رجال الدولة وإزالته رجال الدولة الإسماعيلية القائمة كانت تمهيداً لإحلال دعوته محل دعوتهم، فلما قضى على خصومه وأخمد الثورات الكثيرة التي واجهته في مصر وفلسطين واستتب له الأمر بدأ دعاته التحرك الديني العلني، ونجم عن ذلك عقيدة جديدة عرفت بعقيدة "التوحيد" واشتهرت باسم الدرزية نسبةً إلى أحد زعمائها أنشتكين الذي أعدم في القاهرة سنة 410هـ/ 1019م.

واختفى بأمر الله في ليلة شوال 411هـ/ 1021م، وأحدث غيابه المفاجئ دوياً كبيراً وحار الناس في كشف اختفائه واختفى كذلك المسؤول عن الدعوة حمزة بن علي، وقد قام بأمور الدعوة بعده علي بن محمد الضيف المفتي بهاء الدين الذي كان له شأن والقضاء على الانشقاقات فيها وقد اختفى هو أيضاً في عام 1043م.

تقبل الدعوة أمراء تنوخ في لبنان وجماعات قليلة من سكان بلاد الشام وبخاصة بعد أن نكل الظاهر علي بن ابن الحاكم بأمر الله بالدروز في مصر وطاردهم.

وهم يقيمون الآن في جبل لبنان وفي جنوب دمشق وفي عدد من القرى في فلسطين منها: دالية الكرمل، عسفيا، حرفيش، كسرا، بيت جن، عين الأسد، يانوح، البقيعة، كفر سميع، جت، يركا، النبي شعيب، المغار، المنصورة، الرامة، جولس، أبو سنان، وسجور.[9]

كان للدروز شأن كبير في مقاومة الاستعمار في بلاد الشام وانطلقت في منطقتهم في جبل العرب الثورة السورية الكبرى 1925 والتي قادها سلطان الأطرش.

بعد احتلال "إسرائيل" لفلسطين عام 1948 كان موقف سلطات الاحتلال من الدروز خاصة نابعاً من حقيقة الدور الوظيفي الذي خلق الاستعمار الكيان الصهيوني وهو التصدي لوحدة العرب وتنفيذ التجزئة، فأعلنت اعترافها بالدروز طائفة دينية مستقلة لهم محاكمهم الخاصة عام 1962 والخدمة الإلزامية في الجيش الإسرائيلي وصاروا يبثون الدعايات بأن للدروز "قومية مميزة" وأشاعوا التمييز بين القرى الدرزية والقرى العربية ساعين لكسب الدروز الى جانبهم وزعزعة انتمائهم إلى الأمة العربية.

لكن هذه السياسة وإن استجاب لها قلة من الدروز مكرهين ظلت غريبة نبذها معظمهم، وقد ارتفعت الصيحات محتجة على التجنيد الإلزامي في الجيش الإسرائيلي مطالبة بإلغائه لأن الدروز عرب وليست "القومية الدرزية" إلا اختراع صهيوني لا أساس له من الصحة، وقد ألفت القوى الوطنية التقدمية الدرزية في الأرض المحتلة لجنة أطلقت على نفسها "اللجنة الدرزية المستقلة" وحملت مسؤولية العمل على إلغاء التجنيد الإلزامي وإلغاء التفرقة بين الدروز وباقي العرب في الأرض المحتلة.[10]

أنشئ المجلس البلدي المحلي عام 2003 ثم دمج مع قرية عسفيا لتكونا معاً مدينة "مدينة الكرمل" في عام 2008 ثم فك الارتباط لتعود كل منهما بلديتها الخاصة.

---

[9]: مصطفى الدباغ، **بلادنا فلسطين القسم الثاني- الجزء السابع**، مرجع سابق، ص 455.

[10]: الموسوعة الفلسطينية ج2 ص403

تعتبر دالية الكرمل ذات موقع أثري هام يحتوي على "أسس صهاريج، مدافن، صخور منقورة، معاصر منحوتة، قطع معمارية في القرية".

تقع الخرب التالية في جوار دالية الكرمل وهي:

1) **خربة أم الشقف:** في شمال غربي البلدة بها مدافن منقورة في الصخر وبقايا بيوت مبنية بالدبش وشقف فخار.
2) **خربة البستان:** في الغرب من أم الشقف تحتوي على "جدران متهدمة، أساسات، مغر، صخور منحوتة، مدافن منقورة في الصخر".
3) **خربة رقطية:** للشمال من خربة البستان بها "أكوام حجارة"، شقف فخار، إلى الشرق بقايا بركة ومدافن منقورة في الصخر، كتابات وزخرفة محفورة".
4) **خربة دوبل:** في جنوب دالية الكرمل بها أساسات صهاريج، ومدافن منقورة في الصخر و فسيفساء قطع وأعمدة".
5) **خربة سماقة:** في جنوب دوبل تحتوي على "أنقاض مباني لأحدها باب له عضاضات منقوشة، قبور بقايا معمارية، أحواض، صهاريج.
6) **خربة الدويبة:** في شمالي خربة المنصورة بها "أنقاض قرية صغيرة، حجارة جيدة الدق، مدافن، صهاريج، ناووس نصفه منقور في الصخر، معصرة.
7) **خربة علاء الدين:** للشرق من دالية الكرمل فيها (جدران متهدمة، أساسات معاصر، صهاريج، قبور منقورة في الصخر، برك جنوباً.

احتلتها "إسرائيل" في 8-11-1948 قدر عدد سكان الدالية 2593 نسمة، وفي 31-12- 1949 كان فيها 2599 نسمة، في عام 1961 ارتفع العدد إلى 4100 نسمة.

الفصل الثالث

الناحية الاقتصادية

الزراعة

يعتمد الناس في حياتهم بدالية الكرمل على الزراعة بالدرجة الأولى، إذ كانت الظروف مناسبة ولا زالت فالأرض خصبة والماء متوفر والطقس ملائم والأيدي العاملة المدربة كثيرة والمزروعات متنوعة وقد استطاع العامل في البلدة تطوير إنتاجه أضعاف باستخدامه الآلات الحديثة في الحراثة وقطف الثمار وجمعها وحصاد الحبوب وطحنها وتخزينها كما استخدم المصاطب في المرتفعات وزاد مساحة الأرض المزروعة ووظفها بتربية الدواجن والنحل والأشجار المثمرة من زيتون وعنب ولوز ورمان وفواكه أخرى، كما زرع الفلاح التبغ وأشجار التوت وربى دودة الحرير لصنع الملبوسات الحريرية ومن التبغ صناعة السجائر (الدخان).

إن إنتاج المزروعات في بلدة دالية الكرمل لا يتناسب مع حاجة السوق بالبلد ومدينة حيفا الذي هو أكبر سوق لها لكثرة السكان هذه الأيام ومع ذلك فقد وفر هذا الإنتاج دخلاً مرضياً للعاملين بالزراعة مع وجود الجمعيات الزراعية الخاصة التي تساعد الفلاح في بيع إنتاجه دون هضم حقوقه وأتعابه، كما أنها فتحت الباب لتشغيل الكثير من المزارعين وأولادهم في هذا المجال.

الصناعة

اقتصرت الصناعة في الماضي على أشياء بسيطة تتعلق بالحدادة، مثل صناعة السكاكين ومناجل الحصيد وغيرها وسكك المحاريث وحدو أرجل الخيول والبغال، ومن ملاعق الخشب ومن القش كانت النسوة يصنعن أطباق متنوعة الأشكال والأحجام منها طبق الطعام الذي كان يستخدم في وضع أدوات الطعام عليه ثم يجلس الأسرة حوله لتناول وجبتهم الغذائية كما يستخدم هذا لحمل الأغراض من مكان إلى آخر.

كانت النسوة يبدعن في إنتاج أدوات مصنوعة من القش الملون مثل القبعة والترويجة والمشكول حاول أهل البلد زرع أشجار التوت وتربية دودة القز حيث تتغذى الدودة بورق التوت لتشكل شرنقة حولها من خيوط الحرير ثم يباع الغزل خاماً أو يتم غزله إلى خيوط وكانت هذه المهنة رائجة وتدر ربحاً على أصحابها القبعة أداة تعبأ بالحبوب قمح وشعير وذرة ولترويجه لخميرة العجين(القبعة أداة يوضع فيها الحبوب من قمح وشعير وعدس)، أما الترويجة تحفظ خميرة كما كنت رائجة في تلك الأيام صناعة مقاعد

ركوب الدواب مثل سروج الخيل وتصنع من الجلود الحيوانية ومركب الحمير ويدعى (الحلس) يصنع من حشوة القش ويغلف بقماش من القنب. أما الجمال فكان يقال عنها البردعة، أما اليوم فقد تطورت البلدة وأصبح فيها صناعات متعددة أذكر منها الصناعات المعدنية مثل الألومنيوم: ويدخل في صناع الأبواب والنوافذ والكراسي والسيارات وأواني المطبخ وغيرها كثير.

الحدادة: فيها مصانع وورش يصنع فيها الأرواب والنوافذ وقضبان الحديد لشبكات تحمي الأراضي من تطفل الإنسان والحيوان وهناك مصانع الأخشاب حيث تصنع الموبيليا والكراسي وطاولات المكاتب والطعام...إلخ

الصناعات الغذائية: كثيرة ومتعددة في البلدة يمكن الكتابة عن بعضها مثل: صناعة دبس العنب– دبس الخروب– دبس التمر– رب البندورة– خل التفاح– خل العنب– مربى المشمش– مربى التفاح – مربى الكرز– مربى السفرجل.

صناعة تغليف الخضار: تنظف الخضار وتعقم ثم توضع في أكياس بلاستيكية مفرغة من الهواء وتخزن بالثلاجات مثل: البامية– فول– حمص– ملوخية– بازلياء،...إلخ.

صناعة تغليف اللحوم: من ذبح وسلخ وتنظيف ثم وضعها في الثلاجات لأجل مسمى ثم يلغى بيعها صناعة الجلود وهي مصانع قديمة حديثة يسلخ الجلد عن الحيوان ثم ينظف ويملح وبعد أن يجف قليلاً يكشط حتى يصبح لين اللمس ثم يصنع منه الحقائب بأنواعها وألبسة للرجال والنساء وأحذية كل منهما.

كما توجد معامل الألبان وصناعة الجبن الزبدة وتعبئة الحليب بعد بسترته ثم صناعة الصابون والمنظفات المتنوعة من مسحوق الغسيل وعبواته وعبوات الزيت المتنوعة ومعلبات الطحينة ومشتقاتها.

صناعات الألبسة: حاول سكان البلدة حياكة بيت الشعر من شعر الماعز وهي حرفة تقليدية لغزل شعر الماعز وجعله خيوطاً تقوم النساء بحبكه لصناعة بيوت الشعر لإيواء الأسر من الحرارة والإقامة فيها ولسيد العشيرة خيمة كبيرة واسعة يقيم فيها هو وعائلته من جناح للنوم والمطبخ وجناح كبير للديوان والزوار والضيوف وقد تطور إلى بيت من الحجر والإسمنت مقسم لجناحين الأول لأسرة زعيم العائلة والآخر إلى الزوار والضيوف وقد احتل المختار هذه الأيام المهمة والبلدة الكبيرة فيها أكثر مختار حسب الأحياء ونوع الأسر وتجانسها.

من الألبسة المصنعة في دالية الكرمل خياطة القمصان ذكورا منها ونسائية وأطقم للرجال والنساء وألبسة أخرى، ونسبة العاملين في البناء تحتل المرتبة الآولى يأتي بعدها العملين الصناعة ثم عمال الخدمات والتعليم.

أهم الحرف في البلدة: النجارة، الحداد، اللحامون، باعة خضار وفواك، سوق الدجاج والبيض، سوق الحبوب، سوق القماش، سوق الكهرباء والإلكترونيات، سوق الخياطين ومنها حرف متطرفة في أحياء كثيرة.

التجارة

كان نظام المقايضة هو الشائع من قبل في المداولات بين الناس والمقايضة هو شراء الحاجات بقبعة من قمح أو شعير أو ذرة أو عدس وغيره. وكان الفلاح لا يستخدم النقود العملة إلا في المدن عندما يريد شراء السكر ولأرز والكبريت أو الأحذية وغيره من قماش وألبسة.

حالياً: تغير الوضع في الوقت الراهن قي دالية الكرمل بتوسع البلدة وكثرة الأشياء وتنوعها وتجدد الحاجات وازدياد رغبات البشر وضرورتها مما جعل الإنسان يسعى لتأمينها فالاتصالات باتت ضرورية وملحة وفيما مضى كانت اتصالاته محدودة، إما عن طريق المشي على قدميه أو عن طريق الرسائل البريدية والهاتف أو عن طريق الذهاب على ظهور الحيوانات، بينما تغيرت الوسائل كلياً فالآلات كالسيارات والطائرات واللاسلكي والتكنولوجيا الجديدة التي جعلت البعيد قريباً فكل خبر يحصل في العالم يصلك وأنت في بيتتك بعد ثوان.

فالآلات من سيارات ضرورية لاستخدامها للعمال والموظفين وطالبي العلم في المدارس والجامعات حتى أصبح كل فرد في لأسرة بحاجة الى سيارة وعلى سبيل المثال: إن ابني يعيش في الولايات المتحدة الأميركية وله أسرة من شاب وشابة وزوجته يملكون خمس سيارات يعيشون في هيوستن الأب يذهب بسيارته إلى مكتبه في هيوستن وزوجته تذهب بسيارتها إلى مدرستها كمعلمة والشاب يعيش في أوستن عاصمة تكساس يذهب بسيارته إلى جامعته والشابة التي تعيش في مدينة ورك تذهب بسيارتها إلى جامعتها، وكذلك الحال للخلوي والكومبيوتر الذي غزا العالم بكل تقنياته ينقل للبشر المعارف والخبرات من عادات وتقاليد ومفاهيم تعلم الناس وهم في بيوتهم على الأرائك يجلسون، ولم يخلَ بيت من آلات الطبخ والغسيل والتدفئة والغاز وآلات تنظيف البيوت لترتاح النسوة من العجين والخبيز والغسيل وبات بيتها

مجهز بكل أدوات الراحة والنعم، وعزز هذه الخدمات وجود المتاجر المتخصصة بالأكل إذ يأتيك الطعام على طبق مغلف نظيف ليوضع على مائدة الطعام المحيطة بالكراسي المتنوعة الخشبية منها والمعدنية.

الخدمات

كانت الخدمات فيما مضى شبه معدومة أو تكاد فالشوارع في القرية ضيقة وملتوية غير معبدة تعج بالغبار صيفاً وبالوحل شتاءً تغوص في ظلام دامس في الليل والطرق ضيقة ملتوية لصد الغزاة المعتدين وهم على خيولهم وتطوف هذه الطرق بالمياه وتسيل إلى المنحدرات بشكل غزير تأخذ ما تلاقيه أمامها وقد تبدل الأن فأصبح البناء مرخصاً من قبل البلدية.

الشوارع، واسعة مستقيمة نظيفة ومعبدة والبيوت يشع لونها كالحمام ولرخام والمرجان وسقف البيوت تلمع بلونها الأحمر والإضاءة تعين الراجل والماشي على السير براحة وطمأنينة و الرياضي يتمتع بألعابه ويتلذذ بحركاته وجودة جسمه.

المؤسسات في البلدة مهيئة لتعمل في وظيفتها بدون تذمر وكلل، والمواصلات كافية لخدمة المواطنين وطلاب المدارس والعمال من بناء ومصانع وتجار وخدمة الصحة من مراكز صحية وعيادات ورجال الإطفاء يترقبون أي نبأ عن حريق ودمار والشرطة تعمل نشر الأمن وراحة الناس هذا كله بفضل مجلس البلدة المحلي الذي اختاره سكان البلدة بكل أمانة وصدق، وأن ما كتبته عن نشاطات مجلس إدارة بلدة دالية الكرمل هو قيد من فيض ويبقى الأمر جارياً أمام همته وطموحاته في تحسين بلده طبعاً إذا ساعده أبناء بلده تحقيق مآربه، مثل تحقيق شبكة الصرف الصحي للبلدة وأهميتها مهما كانت التحديات من طبيعة الأرض والمال وهناك أمور أخرى مثل المشافي والفنادق لتشجيع السياحة وتخفيف العبء عن حيفا وكل ما تلزمه السياحة من خدمات حتى تصبح دالية الكرمل مهيأة لتكون مدينة عصرية بكل مقوماتها.

الفصل الرابع

الحياة الاجتماعية والثقافية وأعلام دالية الكرمل

القصة والمسرحية في واقع الثقافة الفلسطينية

تعدد كتاب القصة من أبناء فلسطين وكثرت قصص قصيرة منها والطويلة التي يقر معاناة هذا الشعب والتحديات التي قابلته ولازالت، وإني أقدم للقارئ نموذجاً منها للكاتب الشهيد المرحوم غسان كنفاني فيما كتب: رحلة أسرة فلسطينية نزحت عام النكبة من يافا إلى عكا إلى لبنان عبر رأس الناقورة، وعند رأس الناقورة تشتري النسوة سلة برتقال وهن بعيدات على أرض البرتقال اليافاوي ثم تكمل الأسرة الطريق فيقول:"وعندما وصلنا صيدا وصرنا لاجئين".

يبيع رب الأسرة حلي زوجته ويستأجر سكناً متواضعاً تأوي الأسرة إليه وينتظر (يوم 15 أيار) آملاً أن تحرر الجيوش العربية فلسطين، كما أكدت ووعدت ولكن اليوم يمر وتترسخ الهزيمة ويطول النزوح ويأس رب الأسرة وتطول معاناته ويكاد يقتل نفسه وإلى جانبه برتقالة جافة يابسة إن صوت الراوي في قصة أرض البرتقال الحزين مفتاح أساسي للإنجاز الحقيقي لهذا العمل، فالراوي وهو الأخ الأكبر في الأسرة يتوجه بالسرد إلى أخيه الأصغر أحياناً وإلى أخوته كلهم في أحيان أخرى كي يكتسبوا من القصة المعرفة بالوعي.

وفي مجموعة غسان كنفاني عالم ليس منا 1965 تطغى موضوعة المنفى بشكل بارز، فقصة "جدران من الحديد" صورة شعر به لطائر ينتفض في قفصه دون انقطاع إلى أن يحتضر في سجن ولكن النهاية غامضة هل يموت الطائر لأنه استنفذ قواه، أم هل يموت لأنه توقف عن الانتفاض.

ومن قصصه مجموعة عن الرجال والبنادق اتصال بين الحاضر الماضي وتتمثل في العلاقة بين الآباء والأبناء فمفتاح المنزل القديم في الوطن السليب يشبه الفأس وفي المنفى يكشف (الصغير) هويته ويتحسس جذوره واكتشاف الهوية معادل لحمل السلاح وهذه هي مواضيع عن الرجال والبنادق والمخيم والمعاناة والشعور والوعي بالمواجهة عبر الكفاح المسلح.

وفي عام 1968 أصدر غسان كنفاني في بيروت مجموعته القصصية الرابعة عن الرجال والبنادق، والمدخل إلى المجموعة قصة تعود بنا إلى عام 1949 وحياة البؤس في المخيم الفلسطيني.

تنقسم هذه المجموعة إلى قسمين: القسم الأول في أربع قصص قصيرة تشكل رواية غير طويلة.

القسم الثاني أربع قصص قصيرة أخرى تقدم كل منها معادلة فنية لنضال الفلسطيني ضد الجوع من أجل البقاء ونضاله المسلح ضد الغزاة، ويرقم الكاتب القصص من (1) إلى (9) معتبراً إياها أجزاء متتابعة من عمل واحد، يقدم صورة نضالية للشعب الفلسطيني منذ ثورة المقاومة المسلحة التي انطلقت مرة ثانية في منتصف الستينات من القرن العشرين، وقد ظهر في الناصرة مجموعة توفيق فياض (الشارع الأصفر) تعبر عن هموم الفلسطيني اليومية والنفسية والحياتية بأسلوب مشحون بالعاطفة، وتجاوز هذه المجموعة طابع السرد لتصل إلى نوع جديد من التركيب الحديث مع تضمين القصة عدة أبعاد واقعية ورمزية وتمتزج بين الوطن والتراث، فنكسب مضمونها الكفاحي والرمزي دون أن يهمل القضايا الاجتماعية اليومية أو ترتبط قصص المجموعة بالصراع السياسي–الاجتماعي داخل فلسطين المحتلة ولا تغيب عنها الروح التفاؤلية.

أعلام في دالية الكرمل (شعراء، أبحاث، أدباء، فنانين، قصصيين– علماء)

عبد الله القرا[11]

فنان ولد في دالية الكرمل إذ تمحورت آماله حول "المرئيات" المصنعات الريفية في بيته ومع أن الخلفية الثقافية والموقف السياسي لكل من هذين الرسامين زمن أهم الرسامين الذين أسسوا ركائز الصورة الانطباعية للتراث خلال مرحلة التكوين وتجاوزوا هذه التجربة فيما بعد و(بول غيراغورسيان) من مدينة القدس الذي احتلت الأيقونة المسيحية المقدسة المكانة المركزية في عمله.

خلال المرحلة التكوينية وتجاوزوا هذه التجربة فينا بعد (بول غيراغوسيان) من مدينة القدس الذي احتلت الأيقونة المسيحية المقدسة المكانة المركزية في عمله، وعبد الله القرا من دالية الكرمل الذي تمحورت أماله حول المرئيات" المصنعات الريفية في بيته" ومع أن الخلفية الثقافية والموقف السياسي لكل من هذين الرسامين الفلسطينيين، دار كل منهما في فلك مغاير للآخر فإنهما يلتقيان على عدة صعد فكلاهما ينتمي إلى أقلية فقيرة في فسيفساء المجتمع الفلسطيني، ولد غيراغوسيان، بالقدس من عائلة أرمنية بالقدس وولد القرا في ريف الجليل من عائلة درزية في بلدة دالية الكرمل وقد تفتحت عينا القرا على فن التصوير في قرية عين حوض حيث عمل الفتى الدرزي بستانياً للمجمع السكني الخاص بالفنانين الإسرائيليين الذين أقاموا في الفرية بعد إفراغها من سكانها.

[11]: محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين– المجلد 4**، القاهرة: دار الوثائق، 2011، ص: 125.

لقد تلقن غيراغوسيان أصول التصوير عن طريق رسم الايقونات ونقلها وذلك عن طريق رهبان إيطاليين طوال سنين إقامته في أجواء الدير المغلق، كما تلقى القرا أولى دروس الرسم في عالم "القرية الفنية" المقصود على نخبة من الفنانين اليهود.

وبعد أن نضج الفنانان لمع اسم كل منهما في جماعته فاعتبرت الأوساط الثقافية المحيطة بغورسيان الذي استقر في لبنان بعد الهجرة فنانا لبنانياً كما إعتبر القرا الذي استبدل اسمه العربي بمرادفه العبري (عوفاديا) فناناً إسرائيلياً أما دارس أعمال هذين الرائدين فإنه يجد ما تصبو إليه أعمال غيراغورسيان لا يختلف في جوهره عما تصبو اليه أعمال القرا وأن طريفو كل منهما تكمل الأخرى فكانتا جناحي النواة الفلسطينية الأولى التي ارتكزت عليها الصورة الانطباعية للتراث إثر النكبة.

سميح الناطور[12]

ولد سميح الناطور في قرية دالية الكرمل عام 1946 وأنهى دراسته الابتدائية في قريته والثانوية في مدرسة حيفا البلدية ثم التحق بالجامعة العبرية بالقدس فحصل على إجازة بالعلوم السياسية والتاريخ العام، وبعد تخرجه عمل مدير قسم الشبيبة العربية في بلدية القدس حتى عام 1974.

في عام 1975 أنشأ مكتب الطليعة للصحافة والنشر وتخصص في تأليف وإعداد الموسوعات والقواميس وله عناية بالشعر ونشر عددا من قصائده في الصحف والمجلات. من مؤلفاته: العالم العجيب (4أجزاء موسوعة) الموارد (موسوعة 4 أجزاء دالية الكرمل 1976—1980—الألفيات (الموسوعة10 أجزاء) دالية الكرمل 1979–1980. قاموس الجيب عبري عربي دالية الكرمل 1986، موسوعات مختلفة للصغار دالية الكرمل 1980–1986—الدروز (دراسة بالإنكليزية) أسماء وأعمال (موسوعة) دالية الكرمل.

مجيد حسيسي

ولد مجييد حسيسي في قرية دالية الكرمل عام 1944، وأنهى دراسته الابتدائية في قريته والثانوية في مدينة حيفا، والتحق بجامعة حيفا حيث حصل على الإجازة في الأدب العربي. نشر قصائده ومقالاته في الصحف والمجلات المحلية، من مؤلفاته: كلمات متشردة (شعر) حيفا 1975 القضية رقم 13 (رواية) مع فرحات القدس 1975.[13]

---

[12]: محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين– المجلد 3**، القاهرة: دار الوثائق، 2011، ص: 238.

[13]: المرجع السابق.

مصباح أديب الحلبي[14]

ولد مصباح الحلبي في قرية دالية الكرمل عام 1942، وتعلم في قريته، وأتم دراسته الثانوية في مدرسة عبرية في حيفا وعمل بالصحافة مراسلا لجريدة اليوم وهاتسوفيه العبرية ثم مراسلا للأخبار للإذاعة وجريدة أحرونوت العبرية والأنباء العربية. من مؤلفاته: "تحالف الدم باللغة العبرية 1969"، الدروز في إسرائيل، وقد نالت كتبه رواجاً لدى النطقين بالعبرية.

معين محمد حاطوم[15]

شاعر وقاص ولد معين محمد حاطوم في بلدة دالية الكرمل عام 1954، وأنهى دراسته الابتدائية في بلدته والثانوية في مدرسة البلدية في حيفا والجامعية في جامعة حيفا تخصص فلسفة والفنون الإبداعية عام 1981.

كتب الشعر والمسرحية من شعره (وسائد الحزن مضاجع الأسى) من مؤلفاته: "رحلة بين أشداق الموت(مسرحية) 1972"، و ذوت باسم الله (رواية) المطبعة العصرية الناصرة 1973، حب بلا غد (رواية) 1973، لا لا تقتلني (مسرحية) 1973.

منى حاطوم[16]

ولدت منى حاطوم في مدينة حيفا من عائلة فلسطينية تم تهجيرها من بلدة دالية الكرمل حيفا عام 1952، درست التصميم الغرافيكي في كلية بيروت الجامعية للبنات لمدة عامين وعملت في مكتب إعلانات غادرت بيروت في رحلة إلى لندن عام 1975، ولكن الحرب الأهلية منعتها من العودة إلى بيروت فقررت استكمال دراستها في لندن حيث درست التصوير والرسوم على الفخار وأقامت معارضها في لندن.

تحدثت عن تطورها الفني فتقول: "تفتحت عقليتي على قضايا مهمة مثل قضية القوة– علاقة المركز بالهامش، الأبيض والأسود، أردت لعملي حين قدمت عملاً فنياً وطنياً أن أتحدث عن الناس، وليس عن الفلسطينيين فقط وبعد زيارتي إلى رام الله وحيفا أشرت إلى الصابون النابلسي ضمن الإشارة إلى خريطة أوسلو.

من أعمالها: معرض تحت الحصار لندن 1982، معرض كاليريتات في لندن 1981 –عمل مائي— انظر لا أحد—لا تبتسم أمام الكاميرا.

---

[14]: محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين– المجلد 6**، القاهرة: دار الوثائق، 2011، ص: 343.

[15]: محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين– المجلد 7**، القاهرة: دار الوثائق، 2011، ص: 472.

[16]: محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين– المجلد 6**، مرجع سابق، ص: 365.

نزيه أمين خير[17]

شاعر، ولد نزيه في بلدة دالية الكرمل عام 1946، وأنهى دراسته الثانوي في مدينة ثم التحق بجامعة حيفا فتخرج فيها حاملاً الإجازة في الأدب العربي والعلوم السياسية عام 1972، وحصل على الماستر في العلوم السياسية 1976، يعمل محاضراً للغة العربية والأدب العرب في دار المعلمين وهو من المؤسسين للاتحاد العام للكتاب والشعراء الفلسطينيين.

بدأ كتابة الشعر في أواسط الستينات ونشر إنتاجه في الصحف والمجلات العربية في الداخل والخارج، حصل على عشر جوائز لأحسن قصيدة عام 1971–1974 –وعلى جائزة الإبداع الأدبي عام 1989 واعتبرته الموسوعة الفلسطينية أحد خمسة شعراء من الداخل يمثلون المنهجية والإبداع في الشعر الفلسطيني المعاصر.[18]

من مؤلفاته: "أغنيات صغيرة (مجموعة شعرية) دار الجليل دمشق 1969 – قراءة جديدة لسورة الياسمين 1974، كتاب دموي لأبي تمام (مجموعة شعرية) دالية الكرمل 1984، مقعد دائم للحلم (مجموعة شعرية) 1989، رائحة المطر 1990، ذاكرة المطر (مجموعة شعرية) 1991، لذاكرة الزرقاء 1991، مسافة من القلب وأخرى من الذاكرة مجموعة شعرية 1992.

وهيب نديم وهبة[19]

شاعر وكاتب مسرحي ولد وهيب وهبة في بلدة دالية الكرمل عام 1952، أتم دراسته الابتدائية في بلدته والثانوية في مستعمرة نتانيا، التحق بعد ذلك بقسم الهندسة (جامعة التخنيون) في حيفا لمدة عام وهو حاصل على اللقب الجامعي الأول في التربية، عمل في التعليم وكتب الشعر، والنثر ونشر إنتاجه في معظم الصحف والمجلات الأدبية العربية، من شعره: من الكرمل إلى بحر غزة، ومن مؤلفاته:

- الملاك الأبيض شعر 1974 طبعة أولى وطبعة ثانية 1975
- هدايا وقبل شعر 1975
- أنت أحلى شعر طبعة أولى 1979 وطبعة ثانية 1998
- نهد أسواره وقصيدة شعر 1977 طبعة أولى وثانية 1998
- أبرياء ولكن مسرحية فلسطينية إقامة وطن 1990 منشورات كرمل

---

[17]: محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين– المجلد 7، مرجع سابق**، ص: 268.

[18]: محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين– المجلد 8**، القاهرة: دار الوثائق، 2011، ص: 92.

[19]: المرجع السابق، ص: 256.

- المجنون والبحر مسرحية القصيدة العربية 1995 دار الكرمل
- منحت دار ناجي نعمان اللبنانية الشاعر وهيب جائزة التكريم عن الآمال الكاملة عام 2006 عن كتاب (الجنة)[20].

يوسف فخر الدين

شاعر وباحث، ولد يوسف فخر الدين في بلدة دالية الكرمل عام 1937، نظم الشعر العامي وتفوق فيه وهو من أشهر الزجالين الفلسطينيين كتب بحثا عن الزجل وتاريخه تقدم كأطروحة نال عليها شهادة الماستر من جامعة حيفا عام 2008 وأثبت من خلالها أن الزجل العربي يعتمد أوزان الخليل الشعرية وله أصوله وأوزانه وقوافيه.

من مؤلفاته: "وادي النحل (شعر)1996، حجر اليد (شعر) مكتبة كل شيء 2002، أقوال وقوالون قبل القوال الأول حيفا 2008.[21]

فرحان بيراني

شاعر ومؤرخ لغوي، ولد فرحان بيراني في فرية دالية الكرمل عام 1935 وأنهى دراسته الابتدائية والثانوية في بلدته عام 1955 ثم حصل على الإجازة في اللغة العربية وآدابها وتاريخ الشرق الأدنى، ثم درس سنتين للحصول على الماجستير.

عمل مدرساً منذ عام 1955 ثم عُيِن مفتشاً في وزارة المعارف ولا يزال، كتب في اللغة والتاريخ والتراجم كما قرض الشعر ونشر إنتاجه في الصحف والمجلات التي تصدر داخل الأرض المحتلة.

من أشعاره (أقول لكم):

بأن الحر من يمشـــي ثقيلاً، واضـح الدرب
ويحفر بطن ساقية على وجه الثرى الجذب
وينهض رغم ما يندا ح في الأوصال والقلب
من الأحزان والأشـــــواق، والآمال والحب

[20]: المرجع السابق، ص: 278.
[21]: المرجع السابق، ص: 352.

أقول لكم:

بأن العدل بين الناســــــــــــفي خطـر
وأن شريعة الأوباش فاقت طاقة البشـــــر
فلا تهنوا وكونوا مثل وهج النار في الجمر[22]

أنا وحبيبتي والأحلام:

ســــــــأروي عنك أشعارا معطرة معانيها
قضيت العمر محتسبا على نفسي أواسيها
بأجمل ذكرياتـــــــي فيك أقرؤها وأطويها
ســــأبقى ما حييت أفيض أشعاراً أغنيها
وأسأل عنك أين؟ وكيف؟ ثم متى الاقيها

من مؤلفاته:

- القطوف الدانية في روابي الدالية(ديوان شعر)1981
- صرخة من الأعماق (ديوان شعر) 1990
- حنين لى الماضي (ديوان شعر) 1991
- اللغة العربية ومشاكل تعليمها، القدس 1982
- سيرة المرحوم شكيب أرسلان
- تاريخ الدروز
- تاريخ الولايات المتحدة الأميركية
- تاريخ أوروبا
- كما ترجم عددا من الكتب عن الإنكليز
- رأي الدين

[22]: محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين– المجلد 6**، مرجع سابق، ص: 236.

فرحات رجا فرحات

قاص، من بلدة دالية الكرمل الفلسطينية قضاء حيفا، كتب عن القصة والمقالة ونشر إنتاجه في الأرض المحتلة من مؤلفاته: (القضية رقم 13 رواية بالاشتراك مع مجيد حسيسي دالية الكرمل)1975.

ملحم خطيب[23]

شاعر، ولد في دالية الكرمل عام 1952 أنهى دراسته الابتدائية في قريته والثانوية في حيفا، وأنهى دراسة الهندسة ثم التحق بجامعة حيفا لدراسة اللغة العربية والتاريخن عمل في المعهد التطبيقي- التخنيون مدة ثمان سنوات ويعمل حالياً بالمقاولات والأشغال الحرة ويقيم في دالية الكرمل.

نشر قصائده في الصحف والمجلات المحلية كالأنباء والشرق، من مؤلفاته:

- وجهك و المزامير (مجموعة شعرية) أصدقاء المشرق شفا عمرو1978.
- خلف النقاب الأبيض (مجموعة شعرية) دار الحضارة، القاهرة 1979.

[23]: محمد عمر حمادة، **موسوعة أعلام فلسطين- المجلد 7**، مرجع سابق، ص: 412.

الفصل الخامس

الحياة الاجتماعية

بعد عدوان حزيران 1967 واحتلالها باقي ارض فلسطين وسيناء والجولان قام موشي دايان الذي كان آنذاك وزيراً للزراعة بمصادرة خمسة آلاف دونماً من أراضي الجليل الشمالي في قرى (نحف–ودير الأسد في منطقة الشاغور وانتشرت حينها أهزوجة شعرية تقود الصدام الدموي الذي حدث فيها بقولهم:

نادى المنادي في الجليل أرض الـعروبة للعـرب يا حلالي يا مالي

شـــاغورنا مالـك مـثيل وترابك أغلى من الذهب يا حلالي يا مالي

وبوحدة رجال الشـــاغور أمر المصادرة انشـطب يا حلالي يا مالي

دايان أمرك مـــستحيل بوحدتنا رح ينـشطب يا حلالي يا مالي

ويفتخر الشعر الشعبي بعروبته ويصر على العودة والتحرير والوحدة:

مهد عيـــسى واسراء النبـــي الـعدنان من ظلمكم يا غرب هبت مراكبنا

يا صخرة القدس كوني في رضا وأمان وإذ هــجرناك إلى الرحمن ظلمنا

نحن عـروبة من نـسـل قـحـطـــان وتاريخنا يـعلمك أحـوال ماضينا

نحن يا قدس كلـنا عرب شـــــجعان اصرخي بصوتك تري الأن جينا

من المحيط للـخليج كلها فرســـــان وحياة من بالعرش الرحمن يهدينا

ومن الشعر ما يعبر الشاعر عن حسه السياسي وهو ما حدث مع الشاعر عبد الرحيم محمود عندما جاء الأمير سعود ولي عهد السعودي عام 1934 لزيارة القدس وقد استقبل في طولكرم ووقف الشاب الشاعر أمام الحشود بقوله:

يا ذا الأمير أمام عينيك شاعر ضمت على الشكوى المريرة أضلعه

المسجد الأقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تـــودعه

وغداً وما أدناه لا يبقى سوى دمـــع لنـــا يهوي وخد نـقرعـه

أما غناء الجفرة فإن الشاعر الفلسطيني يوظفها في مجال وطنه وحقه بوطنه بقوله:

جفرا وياها لربــع من هونا لمصـر ومـجينك فلسطين إبتعصرنا عصر

واحنا شباب فلسطين عنوان النصر بلله بهجم عا العدا هجمة جماعية

وعن مكر العدو وخططه وضرورة التمسك بالأرض:

عـم يـــجد ويـغامـــــر بطردك من الـــعليـة

خصمك يا عزيزي شاطر وبـــــفن الحيل ماكر

إذا مـــا الجو صـــفا لـه الضحك عليك يحلاله

أصبـــح تـــغره أموالك لو يدفــع بالشبر مئـة

أصـح تخـون الأمـــانة وتـهرب من الميـــدان

قل لـي إيـش قيمة الفرد بلا ســـكن أو حمية

ويرى الشهيد غسان كنفاني أن الشعر الشعبي في الأرض المحتلة لم يكف أبداً عن القيام بدوره في المقاومة مستعملاً جميع الوسائل التي يستطيع الشاعر الشعبي تجنيدها ليجعل منها سلاحاً وقت الحاجة وكثير من قرى الأرض المحتلة يعتقدون أن مصرع الشاعر الشعبي المعروف (أحميد) في أم الفحم في أواسط الخمسينات وهو على رأس تجمع كان محاولة للوقوف في معمعة آلاف من المواويل والعتابا والميجنا التي كان يوزعها في طول الجليل وعرضه ضد الاحتلال.

ولا ننسى الشاعر الشعبي إبراهيم الصالح (أبو عرب) من قرية الشجرة الذي وافته المنية منذ ثلاثة أشهر إذ طغت أشعاره وأغانيه على أرض العرب ملأ الدنيا وحرض ضمائر البشر في كشف معاناة الشعب الفلسطيني وتحبيب الأجيال الفلسطينية ببلدهم المغتصب وقد وظف قدراته الفنية في كشف الصهيونية وتحالفها مع المستعمر بأسلوبه النقدي وصوته العذب وكلامه اللاذع وحديثه الجاذب. وكم كان لغنائه الغزير أثره البالغ والحماسي في عقول الشباب والشابات المقاتلين والمقاتلات حتى تبنت أشعاره بعض الفضائيات ودور الإذاعات وازدحمت أشعاره لتحتل أرشيف الإذاعات المسموعة منها والمرئية.

ولقد امتدت الظروف الصعبة بالشعب الفلسطيني منذ وعد بلفور حتى اليوم ففي بيت العتابا نرى قصة وعد بلفور الظالم:[24]

وعد بلفورها المـــــشؤوم جـائـر على الرهبان والإسلام جاير

[24]: حسن أبو عليوي، **الموسوعة الفلسطينية خاص- المجلد 3**، (رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ص 70.

تناس العدل وأضحى العالم جائر ملوك العرب ما فيهم حساب

إن عدم تجاهل الوضع الحالي المأساوي نرى ذلك من خلال بعض المواويل:[25]

كنا في العمر مهما طعـنا أسـود الغاب في الغابة طعنا

اتانا زمن في الإحشا طعنا سهم ماضي الى حد النصاب

تـشقينا بها الدنيا وضـعنا الـكون بأسـره كله ما وسـعنا

وكل النـاس بيتنا وسـعنا وعند الضيق ما لقينا صحاب

في الفلك (التقويم الشعبي)

إن الأقوال والأمثال الشعبية تقسم إلى قسمين تبعاً لفصلي الصيف فالشتاء هو بداية السنة في عرف الفلاحين ويبدأ في 14 أيلول/ سبتمبر وهو عيد الصليب لأنهم ينهون فيه الحصاد والقطاف ويبدأ الموسم الجديد وتهب رياح شرقية يسميها الفلاحون شراقي الصليب أو شراقي الخريف.

وهذه الرياح هي العلامة الفاصلة بين الصيف والشتاء وتأتي في العادة في أواخر شهر أيلول لذلك يطلق المثل (أيلول طرفه مبلول) وإذا هطلت الأمطار يقولون (الموسم بدري) وإذا بدأت المطرة الشراقية قبل طلوع الشمس فسرعاً ما تتلاشى وإذا ما بدأت بعد طلوع الشمس فتأثيرها يستمر ثلاثة أيام، ويتشاءم الناس بالرياح الشرقية لأنها تجفف الجلد والوجه ويقولون في سنة الشراقي (بتدور وما بتلاقي) أي لا خير فيها ويبدأ المطر في هذا الموسم مبكراً ويسمونها (شتوة المساطيح) لأنها تنزل على سطوح العشب الذي يبلونه بالماء والزبيب وينشرونه حتى يجف ويصبح زبيباً، ولكل من الثلاثة الأولى الممطرة أسماء كما يقولون.[26]

الأولى والثانية والثالثة (يوم إفتوح) ويوم الرابع والخامس والسادس (يوم إذبوح) والسابع والثامن والتاسع (يوم إمنوح) أي شتاء جديد في تفسيرات البعض، وفي هذا الموعد يبرد الطقس ويقول الناس (مالك صيفيات بعد الصليبيات) ويقولون (إن أبرقت على الصليب ما تغيب) وفي شمال فلسطين في الزيب والناقوره يعرف الناس أن البرق علامة المطر (عند البرق الدنيا بتتخبط) وأما إذا أبرقت وأرعدت (زواريبها طرطقت) ويقولون عن المحاصيل (متى صلبت خربت) أي أن المطر بعد الصليب يخرب الزرع ويعتبرون الثالث من تشرين الثاني هو التقويم فيقولون إن العنب والتين يودعان السنة.

---

[25]: كمال بلاطة. **الموسوعة الفلسطينية خاص– المجلد4**، (رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ص 840.

[26]: فيكتور سحاب. **الموسوعة الفلسطينية خاص– المجلد4**، (رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ص 948.

وفي أكتوبر تشرين أول تجف مياه الآبار فيسارعون إلى تنظيفها من الأوساخ قبل الشتاء ويقولون عن بداية السنة الزراعية الجديدة (في عيد لد) (شد يا فلاح شد ما بقي للشتاء فعد) أما أشهر كوانين (هن فحول الشتاء والأرض) والفحول الرمز لإخصاب ويقولون (بيكسب من مطر كانون مثل ما بتكسب الحرمة من الرجل) ويوصف كانون بأنه فحل السنة أو محلها أما شهر شباط فهو غير مستقر (شباط الخباط ما عليه رباط) أما المستقرضات فإنها جاءت في قصة العجوز وغنماتها والقصة تقول: أنه مرت سنة ولم ينزل المطر فسمع شباط هذه العجوز وهي تقول: راح شباط ودسينا في عجزه المخباط) فغضب شباط وقال لأخيه آذار يأبن عمي أقرضني ثلاثة أيام من عندك وأربعة مني حتى نغرق هالعجوز وغنماتها) هذا ما قرأته وأكتبه لكن القصة تروى بشكل آخر فلا اتفاق صحيح لكن القصة تقول: يا ابن عمي أقرضني ثلاثة ومني أربعة حتى نجعل العجوز تحرق دولابها أي لم يبقَ للعجوز من الوقود إلا دولابها الذي تغزل به وتعتاش منه من شدة البرد.

أما الربيع هو العشب ويؤمنون بأن العشب يبقى أسير (المربعنية) وخمسينات الشتاء تبدأ أول شباط وتنتهي في الثاني والعشرين من آذار وتقسم هذه الفترة إلى أربعة أقسام من يوم واحد إلى 12.5 يوم ويقال (أسعد ذابح) وهي فترة باردة ويقال في القصة أن أربعة أخوة كانوا مسافرين وخلالها مات ثلاثة منهم من البرد ولم ينجَ سوى الأسعد الذي ذبح ناقته واختبأ فيها ثم أسعد بلع (بلع كل ما فوق الأرض)13-25 شباط وسعد السعود (بذوب المية في العمود) من 28 شباط –10 آذار، إذ تستعيد النباتات الحياة وتتفتح البراعم سعد الخبايا ويقولون (بتطلع الخبايا وبتتنقل الصبايا) حتى 22 آذار/ مارس.

أما بالنسبة للأمطار ورصدها: يراقب الفلاح في طمرة الظواهر الجوية لأنها دليله إلى معرفة الطقس وقد يكون قوس قزح علامة على أن المطر غير محتمل فيقولون (إن قوست باكر احمل عصاك وسافر وإن قوست عشية شوفلك مغارة دفية).

أما الرياح فهي ضرورية وفي ذلك يقولون (ما مطر بلا رياح وما نوم بلا صباح) ويقولون أيضاً (إن هبت غربي يا سعد قلبي) ويتفاءل الفلاح من هجرة الطيور إلى فلسطين ففي بداية الشتاء يقال (سنة الحمام أفرش ونام) فلا تنفع الحراثة لأن الموسم رديء بينما قدوم طير الزرزور يدل على موسم جيد (سنة الزرزور أحرث في البور) وسنة طير القطا (نام بلا غطا) فلا برد ولا زرع ولا مطر.[27]

وإن الفلاح دائماً يدعو الله ليتنزل المطر قائلاً:

يا ربنا أطعمنا يا مطعم الطير في ظـــــلام الليل

[27]: فكتور سحاب. **الموسوعة الفلسطينية خاص- المجلد4**، (رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ص 660.

يا ربنا أطعمنا يا مطعم الدود في الحجر الجلمود

وهناك دعاء الاستسقاء، إذ يطوف الفلاح وجماعته وبأيديهم العصي والطبول ويرددون:

يا ربي لا تؤاخذنا كـله من مـــشايخنا

مشايخنا هالــكبار يا رب تحرقهم بالنار

النظرة إلى الحيوانات والطيور من فال وحسن، فالهرة من الحيوانات المحببة لأنها حمت النبي من الثعبان فباركها، ويعتقد الناس أن القط ليس نجساً فلا يضر الآدميين الشرب من نفس الوعاء الذي يشرب منه القط ولا يرون هذا في الفئران والكلاب ويقولون: "من يلعب مع القط يصبر على مخاميشه".

والفأر حيوان نجس في عرفهم لأنه من عطس الخنازير في فلك نوح إذ خرج من عطس الخنزير الفأر.

والخلد: ابن عم الفأر وهو من الخبث والاختفاء عن الناظرين.

والأرنب: يرمز عندهم لأمرين فإذا قيل عن شخص أنه أرنب كان المقصود بأنه جبان شديد الخوف، وإذا قالوا في المرأة أنها أرنبة (أي أنها بتمشط شعرها وتفرش بيتها) يعني أنها حسنة التدبير في منزلها.

ويقولون عمن يحمل خبراً سيئاً "زي البوم أوزي غراب البين".

والطيور المشؤومة: البوم والغراب لأنهما يعيشان في الخرائب ويبحثان عن الجيف وكلاهما نحس وتشاؤم للناس من صوتيهما ومنظرهما. فإذا سمعوا صوت البوم يقولون "فالك على حالك".

وفي المواويل ما يتعلق بالأرض والحراثة:

حراث يا عمــي رمي ع البقر رمي

وكم مليحة تقول للندل عمـــــــي

حراث يا خالــي لالي ع البقر لالي

وكم مليحة تقول للندل خالـــــــي

وهذه أغنية تخاطب المنجل في موسم الحصاد:

منجلي يا من جـــلاه راح للصايــغ جلاه

منجلي يابو الخرافيش طاح بالزرع يطاحش

منجلــي يا بو رنه وأنا جبته من غـــــزة

ومن أغنيات قطف الزيتون:

يازيتون الحـــواري صبح جدارك ســاري

يازيتون إقلب ليمون إقلب مسخن بالطابون

يازيتونة بو مـــرّي هزيلـــــي بلح هزي

يازيتونة بوعرمـوش هزيلـــي ذهب وقروش

ومن أغاني الرعاة التي تتحدث عن الراعي الذي ترك مهنته ثم عاد بعد وقت طويل:

طلبن الغنم من قرية الزنـــار

عرفت الغنم واغشمت الرعيان

طلبن الغنـم من قريـة الـواوي

عرفت الغنم واغشمت الراعي

أما الدعاء لطلب المطر:

يا رب ما هو مـطر بنطـلب منك مـطر

يا رب ما هو فـــيه بنطلـب منـك ميـه

يا رب مـــطر مطر حتى نســقي هالبقر

يا رب رشاش رشاش حتى نسقي هالجحش

أما غناء البنائيين:

صل الله عالزين الهادي

ومعـــانا مدوا الأيادي

ثم يغني أصحاب البيت وهم يدعون بمساعدة معلم البناء:

إعطوا المعلم ما طلب إعطوا عكا وحلب

ومن أغاني الحث على العمل الجماعي:

يا النشامى شيلوا شيل وانشامى شيلواشيل

وما ينفع قليل الحيل وما ينفع قليل الحيل

وعندما ينتهي البناء للدار يغني الشغيله بقولهم:

يا معلم مبروكه الدار والبخشيش بعشرة دينـــار

يا معلم مبروكه الدار يكبروا ويسكنوها الصغار

أما علاقة الفلسطيني بالبحر فيقولون:

فلان نزل البـــحر وبيدو كـيله ربي يرجع ســالم لعيله

فلان نزل البـــحر وبيدو إبريق ياربي يرجع ســالم لبيته

فلان نزل البحر لوضع محرمته يا ربي يرجـــع لحرمته

وينشد الصيادون سواء على الشاطئ أو في عرض البحر:

واجي طولك على طولي بلا قيس وبحرحايط الدنيا بلا قيس

وحق مين خلق الدنيا بلا قيـــس قلبـــي ماهوى غيرك حدا

ويقولون ممن يحمل خبراً سيئاً (الحق الغراب بيدلك عن الخراب) والقطا من طيور الشؤم لأن قدوم القطا يبشر بقلة المياه فيقولون: (سنة القطا بيع الغطا) والطاووس رمز الخيلاء والكبرياء في المعتقدات الشعبية الفلسطينية ومن الطيور المتفائله البط (فرخ البط عوام)، والدجاج: (فلان مثل الجاجه رزقها بين رجليها)، والحمام: هو المفضل في جماله وحسن فاله فالحمامة تشبه بالمرأة الجميلة الوفية والحمام طير مبارك لأن الحمامة بشرت بانحسار الطوفان وعادت بغصن الزيتون.[28]

والجمل من الحيوانات التي توصف بالصبر على المشقة فالمرأة عندما تخاطب زوجها أو أخاها فتقول (يا جملي أو ياقعودي) وإذا طلبوا عروساً أو دفعوا دية قالوا (إحنا جمالكم حملونا) ولكن المرأة لا تنصح ابنتها بزواج جمالاً فتقول:

يا ميمتي لا توخذي الجمال يومين عندك وعشرة أيام بالشام

والبغل في عرف الفلاحين رمز للحقد والغضب والرعونة وسوء التدبير كما أنه لا خلف له أو نسل ومن يرى سبب حرمانه بأنه مغرور أعان نمرود في نقل الحطب لإضرام النار التي كانت برداً وسلاماً على إبراهيم. أما الغزال فهو رمز الجمال والخفة المستحبة والتشبه يعينيه وعنقه بعيون الجميلات ونحورهن.

ويعد الغنم رمزاً للسخاء والطيبة وصورة لضحايا أشرس حيوان فيقولون (فلان بناطح في قرون من طين) ويعتقد النصارى أن العذراء مريم هي التي حماها الخروف.

---

[28]: فكتور سحاب. **الموسوعة الفلسطينية خاص– المجلد4**، (رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ص 668.

والفرس عند البدوي والفلاح في فلسطين أشرف الحيوانات وبها يضربون المثل فيقولون (مثل الفرس الأصيل كل ما طال المشوار بتجود).

أما الحيوانات المكروهة فهي غير مرغوب فيها لمنظرها وسلوكها هو الضبع وهو من أرهب الحيوانات لأنها وحوش خادعة مخيفة لكنها لا تخيف الراعي الشجاع من الناس ويقولون (ضبعه) أي أفقده عقله من الخوف إذ يقفز الضبع على الماشي ليلاً إذا كان وحده وبدون حس يفاجئوه بصوت عال مخيف ترعبه فيلحق به حيث يصرعه ويأكله.

ومن أنجس الحيوانات في عرف الفلسطينيين الخنزير فهو رمز القذارة والحطة والنجاسة ولا يشتم أحد بالخنزير إلا المكروه.

أما ابن آوى (الثعلب) هو حيوان محتال سائد ذكره في المأثور الشعبي بحيله وذكائه.

والثعبان أنجس الحيوانات إطلاقاً في المعتقدات الشعبية وذلك أن إبليس تخفى في جلده ليدخل الجنة ويعتقدون أن الحية خالدة لا تموت لنها تجدد جلدها كل سنة.[29]

وتحرم المعتقدات الشعبية قتل السحلية فإذا قتلها ظل ذنبها يتحرك ويدعو على القاتل، وأخبث الحشرات أم أربعة وأربعين ويضربون بها المثل في الخبث والمكر.

الطب الشعبي

للطب الشعبي حصته الكبيرة في تكوين المعتقدات حيال النباتات وربما كان للمعتقدات الأثر الواضح في طقوس الطب الشعبي وعلاجه والأمثلة كثيرة.

النباتات والمعتقدات

تروي عجائز القرى الإسلامية عن (الدالية) أن الأسد سقاها ثم سقاها الطاووس فالقرد والخنزير وابن آوى (الثعلب)حيوان عندئذ صار من يشرب من عصيرها شرساً كالأسد متكبراً كطاووس وثرثاراً كالقرد أو نجساً كالخنزير وابن آوى (الثعلب) حيوان محتال يبلغ مبتغاه في المأثور الشعبي بذكائه وحيلته.

وأن الحرباء غير محببة لأنها متلونة مثل المنافق. وأخبث لحشرات أم أربعة وأربعين إذ يضرب بها المثل بالمكر والخبث.

---

[29]: فكتور سحاب، **الموسوعة الفلسطينية خاص– المجلد4**، (رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ص 662.

وشجرة الرمان من الأشجار المباركة ولها سلطان على الأرواح الشريرة وكثيراً ما تجمع براعمها وتنظم في قلادة تعلق على صدور الأطفال. كما أن شجرة الزيتون مبجلة موقرة في فلسطين لأنهم يعتقدون أن ولياً يسكنها ويروى عن قريتي عاقر والنفاني أن عدداً من أشجار الزيتون تشاهد حولها ظواهر غريبة ليلة الخميس وتسمع موسيقى غير مألوفة وإذا نفخت الريح من حول هذه الشجرات سمعت أصوات تردد الله الله.[30]

الفن والفنانين

شهدت المنطقة ولادة الأعمال الفنية التي أنتجت في هذه المنطقة بعلاقة وثيقة مع الأرض كانت علاماتها الأولى قد تبلورت في نبرة الشاعر الفلسطيني المعاصر وربما تعتبر حفريات أبو الوليد شقرا من (أم الفحم) في طليعة الأعمال الفلسطينية في هذه المرحلة التي تمثل الصورة الانطباعية للأرض الفلسطينية، كما تعتبر الأعمال التحتية لعبد عابدي من حيفا أكثر الأعمال الإبداعية التي التصقت عضويتها بطبيعة هذه الأرض.[31]

لقد أعجبني ما قرأته عن الفنان الفحماوي وليد أبو شقرا عن فنه الوطني الذي يستند إلى ملاقاة الحجة بالحجة فهو سبق أن ولد أيام قيام إسرائيل وتفتحت عيناه وهويرى جبروت الاحتلال وظلمه وعانى مع أسرته وجيرانه وأبناء قريته ظروف القهر والحرمان وكشف عندما اشتد عوده وأدرك أن الدعاية الكاذبة للعدو باتت مسلم بها فانطلقت ريشته تعبر عن بيئته الطبيعية وما فيها من أسرار وما أكثرها إذ أنه استفاد من ممارستهم في الرسم إذ كانت لوحاتهم تشير إلى أن أرض فلسطين بلا شعب لشعب بلا أرض، ورأى التزييف في هذه اللوحات والكذب الصارخ الذي يسلكونه في تحقيق أغراضهم لذلك كان همه كشف هذه الأكاذيب بلوحاته التي تبرز الآثار المادية التي اسكتت الترهات واللعب بعقول الناس.

وعلى سبيل الإرشاد والتوجيه في هذا الصدد سمعت من ابن عمي الدكتور عاهد الماضي وكان يعمل بالتربية بالكويت يحمل دكتوراه بالأدب العربي ومعه جواز سفر أردني لحاجة السفر وفي عطلة الصيف صمم زيارة أرضه المحتلة عام1969 وعند وصوله ذهب ليزور مسقط رأسه بلدة اجزم قضاء حيفا وهناك الدمار وما لحق بالبلد من تغيير وقد رأى مسجد القرية ولما دخله شاهد ثلة من السياح مع الدليل وهو يشرح لهم معالم البناء ويقول بالفم المليان هذا بناء صليبي وقدفهم ابن عمي حديثه واقترب منه قائلاً: هل كان الصليبيون يبنون مساجد إسلامية؟

---

[30]: فكتور سحاب، **الموسوعة الفلسطينية خاص– المجلد4**، (رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984)، ص 664.

[31]: المرجع السابق.

طبعاً يتكلم معه باللغة الإنكليزية فأجاب هكذا علمونا وبعدها أخذ المجموعة وأراهم لوحة محفورة على الحجر منحوتة فيه تقول:

جمـع البهاء بجامع جمعت بـه أنوار ذكر الله فادخل واحتسب

وانظر لنضرة روضة كم حوت من راكـع يرجو الثواب ويرتقب

مســـــعود شاد فاجزلن ثوابه أرخ صفاه بسر واسجد واقترب

طبعاً قراها لهم الدكتور عاهد ما هو مكتوب وشرح لهم إن الغاية من هذا إلغاء حضارة عرب فلسطين إذ أوضح لهم اسم صاحب البناء وتاريخ البناء وقد اعتذر الدليل وقال والله أنني تعلمت من المسؤولين ما قلت وانت على حق وإني اعتذر مرة ثانية ولن أقول سوى الحق وهذه الأمثلة تبرهن على حقد الصهيونية ومساعيها لتشويه وإلغاء الشخصية الفلسطينية ولكن الاحداث أثبتت لهم عكس ما يريدون وأن هذا الشعب الجبار لا تهزه رياح.

إن الفنان وليد أبو شقرا وتركيزه لإبراز حلاوة الأرض وجمالها ويبرهن على عروبتها بالآثار والمخلفات من أمتعة ولباس وأدوات. إن ما يقوم به الفنانون العرب الفلسطينيون هو عامل ضروري لتنظيف عقول من تلوثت أدمغتهم بالدعاية الصهيونية التي ربحت جولة نحن أولى بربحها في العالم اجمع خلال قرن من الزمن ومع ذلك أولى بأننا نستطيع ربح الجولة القادمة إذا حاربناهم بنفس الوسائل بوقت قصير خاصة ونحن لا نكذب والحق معنا، وهناك فنانة أخرى ظهرت في أواسط الخمسينات في القرن العشرين الماضي عندما أخذت جمانة الحسيني في التفتح على لغة الرسم كوسيلة تعبيرية لها.

كانت ابنة القدس المهاجرة قد استقرت مع زوجها الشاب في العاصمة اللبنانية التي بدأت تحتل المكانة المركزية المميزة في الثقافة العربية الحديثة، عاصرت الحسيني جيل الرواد ممن لجأوا مثلها لبيروت أمثال غنام وغيراغوسيان وساروفيم وممن وصل بعدها إلى العاصمة مثل شموط إلا أن الحسيني عاشت في ملكها البيتي المستقل، ولم يلمع نجمها في الساحة الفنية إلا بعد أن أشرق الحضور الفلسطيني في بيروت، وازدهارها الشامل في الاقتصاد العربي وأبناء الجالية العاملة في دول الخليج.

وكانت أعمال الحسيني الرمزية بمثابة الأيقونة التذكارية لعالمهم المعقد كما اعتبرت مساهمة الحسيني الفنية خلال المرحلة الاستكشافية مساهمة نموذجية فيها وأصبحت القدس بالنسبة الى الحسيني التي استمرت هاجس الفنانة في هجرتها وفي كان غيراغورسيا قد استنبط جوهر مضامينه من تجربته الروحية في أديرة القدس جاءت أعمال الحسيني تمثل السطح الخارجي للتشكيلات المعمارية التي حلمت

بها الطفلة المبعدة وكان جسد الإنسان قد توسط ديناميكية الإنسان في أعمال غيراغوسيا بينما اتحاد الجسد الذي قلما ظهر في صور الحسيني شكل الدمى المتناثرة في فضاء البيت.

وإذا كانت أعمال غيراغورسيا محاكاة للمرئيات حتمية في مسيرة الفنان وكأنها صدى التطور الذي اتسم به تراث الرسم في الغرب المسيحي فإن دقة الإتقان وتألق اليد في أعمال الحسيني نتيجة طبيعية مستمدة من أبجدية التراث الا تشخيصي في الفن الإسلامي، وهنالك عشرات الفنانين من عالجوا في رسوماتهم ولوحاتهم النحاتون منهم والرسامون.

الافلام والمسرحيات

إن الكثير من الإنتاج في الحراك الفلسطيني قد قدم حيث 55 فيلماً و23 مسرحية أخرجت حتى عام 1994 ثم اتجه السينمائيون والمسرحيون العرب بعد عام 1967 نحو صنع أفلام عن القضية الفلسطينية وكانت قبلها قد كتبت آلاف الكتب عن هذه القضية، كما كتبت الموسوعات والمجلدات وقد حرضت المقاومة الفلسطينية والحراك الشعبي في فلسطين وخارجها وتركيزها واهتمامها على النشاط الإعلامي سواءً الإذاعي منه والمطبوع، فإن السينما بقيت خارج النطاق وقد تشكلت عام 1968 نواة للسينما الفلسطينية تعمل ضمن إطار الثورة الفلسطينية وتشكلت الوحدة الفوتوغرافية من السينمائي مصطفى أبو علي الذي كان يعمل قبل ذلك مخرجاً في التلفزيون الأردني المصور السينمائي هاني جوهرية والمصورة التلفزيونية سلافه وكان بحوزة هذه الوحدة كاميرا سينمائية قديمة ومواد خام للتصوير وبعد عام على قيام هذه الوحدة تم إنتاج فيلماً لأول مرة (لا للحل الاستسلامي) والذي عرض في مظاهرات التي أقيمت في عمان ضد مشروع روجرز لحل القضية.

في عام 1972 اتحدت الفصائل الفلسطينية للمقاومة وشكلت تجمعا للسينما سمته (جماعة السينما الفلسطينية)، وقد ركزت على صناعة السينما الفلسطينية وتأسيس أرشيف وتوزيع الأفلام المنتجة وكان أول باكورة أعمالها فيلم (مشاهد من الاحتلال في غزة) إذ يتحدث الفيلم ع الإرهاب الممارس بحق المواطنين الفلسطينيين في غزة ولكن مع الأسف لقد فشلت هذه المجموعة من النجاح لإهمال المسؤولين في القيادات هذا السلاح وعدم تحمسهم له.

وقد زاد عدد الأفلام الفلسطينية وكان عددها 50 فيلماً حاز بعضها على جوائز هامة في مهرجان السينما الدولي ومن البديهي القول إن الموضوعات الرئيسة لهذه الأفلام البارزة والتي وظفها المنتجون السينمائيون في أفلامهم الجديدة مثل (تل الزعتر) إخراج مصطفى أبو على عام 1977 وفيلم (عدوان صهيوني) لنفس المخرج عام 1973.

ثم فيلم الانتفاضة من إخراج رفيق النجار عام 1974 ومن التجارب الهامة في مسيرة السينما الفلسطينية تجربة فيلمي (يوم الأرض ووطن الأسلاك الشائكة) وهما الفيلمان اللذان يقدمان لأول مرة مادة من داخل الأرض المحتلة مصوراً خصيصاً من قبل سينمائيين مناضلين من أوروبا لتعذر دخول سينمائيين عرب في ظل الاحتلال.

هناك عوامل كثيرة أعاقت النشاط السينمائي الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948 منها عوامل اقتصادية وعوامل سياسية الى أن جاءت الأنباء بولادة أول تجربة سينمائية للمخرج الفلسطيني ميشيل خليفي وهو فيلم صور من ذكريات خصبة عام 1980 وأن عرض هذا الفيلم أثار ضجة في الأوساط السينمائية العالمية والفنان هو من مدينة الناصرة درس السينما في بروكسل (بلجيكا) وقد أقدم بعد تخرجه على مغامرة إخراج فيلم كإنتاج مشترك بين شركته الخاصة التي أسسها في بروكسل والتلفزيون البلجيكي، وقد تم تصوير مشاهد هذا الفيلم وهو فيلم تسجيلي طويل في الأرض المحتلة عام 1948 وفي أراضي الضفة الغربية المحتلة عام 1967 وبالذات في الناصرة ورام الله نابلس وفي عام 1985 عاد ميتشيل خليقي من جديد الى ارض فلسطين ليصدر فيلمه الوثائقي (معلول تحتفل بدمارها).

وفي أم الفحم بالذات تم إنتاج فيلم (نداء الجذور) بمساعدة الجمعية الثقافية وتم التصوير بواسطة الكاميرا التلفزيونية ويتلخص الهدف الأساسي لهذا الفيلم في تفنيد المزاعم الصهيونية حول أن الشعب الفلسطيني ليس له تاريخ أو ثقافة ويؤكد المخرج على النتاج الحضاري للشعب الفلسطيني من خلال تصويره للآثار العربية والإسلامية في فلسطين المحتلة.

الفصل السادس

عادات الخطبة والزواج

يتجلى بعادات وتقاليد الناس في البلد أهمها الأفراح والأتراح وما يرافقها من سلوكيات مختلفة بعض الشيء، الأفراح منها الزواج وما يلازمها من خطوات تبدأ بالخطبة:

الخطبة

من المتعارف عليه أن أهل العريس هم الذين يتولون اختيار العروس والخطبة والزفاف وتتم الخطبة عندما يقتنع الشاب بالفتاة التي اختيرت له، مع العلم أن العريس في كثير من الحالات فيما مضى لم يرَ العروس ولم يسبق له أن شاهد فتاته أو تكلم معها لأن هذا كان محظوراً وغير مرغوب فيه حسب التقاليد والأعراف البالية.

وفي بعض الأحيان بترك الشاب لأهله (أمه و أخواته) البحث عن الفتاة التي تليق بجنابه ويتم الاتفاق مع أهل العروس دون أن يرى العريس فتاته أو تراه وبعد الاتفاق على الإجراءات (من مهر مقدم مؤجل عند المسلمين) يذهب ثلة من الرجال إلى بيت أهل العروس لخطبتها رسمياً ويستقبل أهل العروس الوجاهة بالترحيب والتكريم ثم تقدم القهوة لرجل وهو وجيه الخطبة فيأخذ الفنجان ويضعه جانباً، ويبدأ بتحية الجميع ويطلب الفتاة من وكيلها وكان في الماضي تتم الخطبة بكلمات وجمل مفيدة بينما تطورت الخطبة هذه الأيام إلى محاضرة تشيد وتميد بخصائل العائلة والمجتمع ويكون الحديث مملاً حقاً كما وجدته في عمان مثلاً.

يتم العطاء وتقرأ الفاتحة على نية الوفاق والتبريكات وعندها يشرب الطالب فنجان القهوة ويشرب الحضور أيضاً عندها تسمع النساء الموافقة تأخذ النسوة بالزغاريد والغناء والتبريكات ويقدم الشراب ومن الأغنيات التي تقال:

ع الزنزلخت ع الزنزلـــــخت ريتك يا حلوة محظوظة بختي

بدك أبادلك ببـــــادل بختي بـدك مصـــــاري بدفع مليونا

ثم تردد أغاني معاناة الشباب من غلاء المهرفيقولون:

على دلعونا با مدلعنيـة صـــــاروا يطلبوا بالبنت مية

صاح العزابي يا بيـــي منلي مصاري أجيب المزيونة

التحضير للزواج

يدفع الشاب مهر عروسه حسب الإتفاق ويقوم أهل العروس بشراء الحاجات لإبنتهم من ثياب وحلي وفرش وغيره وكثيراً ما كان المهر يرهق الشباب ويثنيهم عن الزواج لفداحة النقد المطلوب.

وقبل حفل الزواج تنقل أغراض العروس إلى بيت العريس بواسطة النسوة إذ يحملنها وهي موضوعة بصناديق وصواني وأطباق وبقج وهنيرددن الأغاني في زفة من بيت العروس إلى بيت العريس.

حفلات الزواج: تقام السهرات ويقال لها التعليلة وذلك مساء كل يوم ولمدة تتراوح بين ثلاثة أو سبعة أيام وهي فترة إعداد العروس للزفاف من تجربة للألبسة والحناء والزينة كما يسهر الذكور على ضوء القمر أومصابيح (لوكسات) ويتدربون على الأغاني والدبكات .

ويسبق كل ذلك دعوة المعارف ووجهاء القرى المجاورة لحضور الحفل الى جانب دعوات أهل القرية من رجال ونساء.

وفي يوم العرس تأتي وفود المدعوين من مناطق متعددة وهي تحمل معها الهدايا وغالباً ما تكون ذبائح أغنام وأكياس سكر و أرز وقهوة وغيرها من المؤن المطلوبة للعرس، ينهمك أهل العريس وأقربائهم في استقبال الضيوف وإعداد الطعام من ذبح الخرفان وتقام الموائد ويتناول الضيوف طعام الغداء وعند العصر تبدأ مراسم الدبكة والغناء وسباق الخيل وأحيانا المنافسة في رمي الرصاص لإصابة الهدف، ويكون هذا الحشد من الناس فرصة لتمتين عرى الصداقة والتعارف بين الناس وفي كثير من الحالات تحل مشاكل وتوثيق علاقات بين الأسر.

تغني النساء أمام العروس أثناء خروجها إلى بيت عريسها أغنيات بقولهن:

يا مـــــحمرة يا مبودرة وألفين حق الكـــندرة

حلفت يا فلانه مابطلع إلا الحامولـه حاضرة

ومن أغاني الزفاف الشهيرة للعريس يرددها الرجال في مواكب الزفة في مسيرتهم يرافقون العريس إلى بيت العروس بقولهم:

عريـسنا عنتر عبس عنتر عبس عريســنا
عريســنا إبن الكرام إبن العريس عريسـنا
عريسنا زين الشباب زين الشباب عريسـنا
والي يعادينا بنـذبحه ونقطعه بـــــسيوفنا

ويركب العريس على حصان مكتمل العدة ويحلى ظهر الحصان بالرداء المزخرف ويجمل بالحلي الذهبية من رأسه حتى صدره وكذلك الحال حصان العروس، ومن الزغاريد التي تحيي رب الأسرة وتمجده تشير إلى مكانته وعلى غرار التقاليد العربية (المهاهاة التالية):

إيه ويها يا بو فلان لاترخـــي الحبل فينا ولا تشـــــــــــمت بنا يا طيب
إيه ويها حنا إن رحلنا جلناك الدلو إيه ويها نحنا إن نزلنا جعلنا بيتك الغالي

العتابا: تتضمن العتابا معاني ومفاهيم للقيم الاجتماعية و تستخدم الفخر والمديح وأكثر العتابا تأخذ جانب الغزل بقولهم حول صيد الظباء الأنسية والتي حفلت بها الأغاني، وفي كثير من الأحيان تتحدث عن الصياد العاشق وعن الغزال الشارد والحمامة الجميلة وقد أصابت الغزلان قل وبالعاشقين بقولهم:

ثلاث غزلان ناحي تلعين ماضين بقلبي ناصبات جراح ماضين
كشف جرحي الطـــــبيب وقال ما ظني يطيب مجروح الهوى

ونرى العاشق متيماً بجمال فتاته التي جمعت القوام الرشيق والشعر المايل والعاشق محتار معذب بعدما رفض والدها طلبه فيقول:

طولك طول عود الزان لو مال يا شعرك حير الجدال لو مال
وبوكي لا قبل فضة ولا مـــال أكيـف الرأي عندك والجواب

إن الأغاني كثيرة عديدة متنوعة وكل منها معانيه ولحنه منها:

زريف الطول ودلعونا: ويتغزل المغني بحبيبته التي عاشت بدلال أمها وأبيها ولكنه يفاجأ بخطبتها لغيره فيقع عليه النبأ وقوع الصاعقة فيقول.

يا زريف الطول يا م السن الضحوك يللي رابيه بحضـــن أمك وابوك

يومن جانا خبر إنهم خـــــطبوك شعر راسي شاب وظهري انكسر

ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط راسه فيقول:

على دلـــعونا على دلعونا نسم با هوا الغربي الحنونا

بالله إن متت ياما اقبروني بأرض بلادي بقي الزيتونا

الغزيل: وهي تسير على نمط مماثل، فهي أغنية قصيرة تتألف من بيتين من الشعر وتتفق الأشطر الثلاثة الأولى بقافية واحدة بينما تختلف قافية الشطر الرابع وتنتهي بالمقطع (يا) وهذا ناتج عن عبارة أهلا.

ياغزيل يا بو الهيبا ياغادي يامعذبـــا

زرتونا وشـــرفتونا أهلاً وسهلاً ومرحبا

وفي الأعراس تقام الدبكات والسحجات ويأتي الحداؤون (الشعراء) ويلقون أشعارهم الغنائية التي تتناول المدح والذم الافتخار والغزل وجميع أصناف المصطلحات والمفاهيم القيم.

وقد جرت العادة أن يقف الشاعر أمام صف مستقيم من الرجال ينشد أغانيه ويقف الشاعر الثاني مواجهاً الأول ويتباريان الأقوال الموزونة بمواقف حيوية معينة على سبيل المثال يتناول الشعر السمرة والبيضة وينتصر الرجال لأي فريق، وفي كثير من الحالات يؤيد الجميع الأفضل، وفي حالات كثيرة تتداخل النعوت السيئة والألفاظ البذيئة وتصل إلى العراك بين المتناصرين للشاعرين، ومن هذه الأغاني:

قالت البيضا اسم الله علينا يـا ورد مفتح حـــــوالينا

يللي ســـافرتو عودوا إلينا لا تطيلوا الجفا تزيدالهموما

السمراء:

قالت السمرا واحنا الهرايس واحـنا المحارم بيد العرايس

روحي يا بيضا يالبن رايب واللي بيهواك يصبح مجنونا

ترد البيضاء:

يا ميخذ السمرا ويش بدك فيها يـا رمل بحر تنوي جليها

في البير الخارب والله ارميها واحكم عليها حكم فرعونا

أبو الزلف: هي أغاني الدبكة تلتزم تلك الأغاني في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع الألف الممدودة.

عا لعين يا بو الزلف عين الزلف لـــيا

قلبي جريح الـــهوا وانتي الدوا لـــيا

جـــفرا ويا هالربـع عالبير نشـــالي

وامـــــزنرا بالـطقم فوق للطقم شالي

ولادة المرأة: عندما تلد المرأة تخرج القابلة لإعلان النبأ فإن كان المولود ذكراً تعبر الزغرودة عن الفرح والسعادة بخلاص الأم ونجاتها.

إيه ويها جابت وقامت إيه ويها على فراشـها ما نامت

ويها ولك الحمد يا رب إيه ويها وما تشمت فيها شامت

وفي غناء آخر للمولود يقولون:

إيه ويها يا بلبل على الشجر إيـه ويها عيش واكبر يا ذكر

إيه ويها يا عـــــطية ربنا إيه ويها مانال إلا اللي صبر

وقد تلجأ المهاهاة أحياناً إلى التعميم، فلا تذكر المولود اذكر أم أنثى، وإنما تقتصر على دعاء بشفاء الوالدة وقيامها بالسلامة:

إيه ويها وقفت حمامـــــــتنا إيه ويها وبقلب طاقتنا

إيه ويها لا فرحنا ببنت وصبي إلا بـــسلامة حبيبتنا

تنويم الطفل: تحاول اللام هز السرير الخشبي في المضي أو المرجوحة وتأخذ بالغناء ويدعى هدهدة:

نامت عيـونك وعيون الحق ما نامت

وما ظلت شدة على مخلوق ودامـت

ويقولون أيضاً:

هللي لو هـ يا حمامة　　هـــــــللي لو تينام

وافرشـــــيله الأخضر　　والوساید وريش النعام

ترقيص الطفل: وترتبط بنمو الطفل وفق ما تدرك الأم أن الوليد يتحمل اللعب والترقيص، وذلك بوضع يديها تحت إبطيه ورفعه إلى أعلى بحركات ترافق الأغنية، كالتالي:

ميمته ياميمتـــــه　　ياربـــــــــي تخليه

وتخليه لمويـــمته　　وتكـــــــحلو عينيه

وإن شاء الله بيكبر　　ويـــــحمي هالشياب

ويحمل على جنبه　　سيف وجراب وشبرية

أغاني الختان: وهي متنوعة وليست هناك أغنية متخصصة فالأم تغني ما يحلو لها من مهاهاة وأغان عامة غير أن هناك أغاني بهذه المناسبة تتكرر مثل:

طـــــهروا ياشلبي وناولو لأمـه　　يا دمـوعو الغاليه نزلت ع كمو

ومطهر يا مطهر امسح بالشفرة　　لاتوجعلي رياض يا إ بن الأمرا

اللعب مع الغناء: تتناسب هذه الألعاب مع سن الطفل وعندما يصبح الطفل قادر على فهم ما يقوم به يؤدي الأب والأم بعض الأغاني ترافقها الألعاب منها مثلاً:

يامنيمسه يامنيمســه　　يا حبة القريمـــــشة

بعشتنـــــي معلمتي　　اشـــتري راس البصل

وقع مني وانكـــسر　　بـــــــــوق بوق

يا أم الحلق والدبوس　　قيمي إيدك يا عروس

وهناك لعبة تداعب الطفل بعد المشي إذ يحمل الأب طفله على ظهره تقوم الأم بينما تلف الأم يدها حول رقبة ولدها فيقول الأب:

أنو فوقي　　ويرد الطفل عبد الطوقي

الأب شو بدو　　يرد الطفل حمص مقلي

وينزل الأب طفله قائلاً طيح نقي.

أغاني الشتاء: يجتمع الأولاد عند نزول المطر ويضعون على رؤوسهم أكياس من الخيش (القنب) لتقيهم من المطر ويقولون:

شتي يا دنيا شـتي على صلعة سـتي
ستي جابت صبي سـمته عبد النبي
حطته بالطنـجرة طلع صحن مجدرة
حطـــته بالبير طلع راســه كبير

وهناك أغنية عند سفوط المطر يغنيها الأطفال وهم في حلقة دائرية:

شـــتي وزيدي بيتنـــا حديدي
عمـــنا عبدالله كســـر الجرة
شـــتي وزيدي على طريق سيدي
سـيدي بالمغاره ذبح قطـــة وفارة
سيدي في البرية بيطـــبخ لبنية

وهناك تغنى بالأعياد:

بكرة العيد بنعيـد بنذبح بقرة الســيد
والسيد مالو بقرة بنذبح بنته هالـشقرة

ومن الأغاني القديمة بدوية المصدر:

ياطيور طايـــــرة يامراكب ســـايرة
ســـلمي ع أمي وأبي وقولي جبينة راعية
ترعى غنم ترعى سخول وتقيل تحت الدالية

وتدخل مثل هذه الأغاني في الحكايات (الخراريف)، ومن الأغاني التي يرددها الأفال عندما يتأرجحون:

هز التين يا وروار لســـة التين ما نور
ما نور إلا الزيتون يازيتون إحمل ليمون

ومن الألعاب التي ترافق الأغاني:

طاق طاق طاقية رن رن يا جرس حول واركب على فرس

لعبة الدائرة مع القفز: تلجأ الفتيات إلى لعبة خفيفة تضم ثلاث بنات يضعن أيديهن فوق أكتاف بعض ويقفزن معاً قفزات متوازية ويغنين:

إحنا الثلاثة سوا مثل عمود الهوا

وحـــــدة كبيرة وحـــدة صغيرة

وحـــــدة طويلة وحـــدة قصيرة

وحدة بترجع لورا

ومن الألعاب الأخرى السائدة للذكور والإناث:

لعب البنات: لعبة الإكس—(الحيز)، الزقطة (القال)، الغماية (الطميمة)، الخويتمة (الخاتم والأصبع) نط الحبل لعبة الخمسات.

لعب الذكور: كسر البيض، البنانير (الدحل) لعبة الكورة، لعبة المني، لعبة الغزة توضع عصاة متين في ثقب حجر ويتبادل الأولاد بضربها كل بعصاه والذي يكسر ها بعصاه يكون الفائز – لعبة كرة القدم – وسباق الخيل، الركض والسحاسيل، الصيد: كان الكثير من الأولاد يريدون الصيد حتى كان البعض منهم يبتكرون أدوات جديدة لصيد العصافير مثل: النقيفة أو بالفخ –بالدبق، بالشبك– بالفخاخ– وجمع الفراخ من أعشاشها)، وكان البعض يستخدم ماسورة مركبة على أخمص من الخشب مثل البندقية ويطلق السهم بواسطة نابض أو شيحة مطات.

الفصل السابع

مجازر الصهيونية في شعب فلسطين

قامت الصهيونية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بصياغة منهاجها الاستعماري المطابق للاستعمار الأوروبي ويزيد عليه بالاستعمار الاستيطاني القائم على تفريغ فلسطين من سكانها العرب وإحلال يهود العالم محلهم والتقت دعوتهم مع مع رائدة الاستعمار العالمي بريطانيا.

وقد وجدت بريطانيا مصلحتها بزرع شعب غريب في قلب فلسطين لمنع الجناح العربي في أفريقيا عن الجناح العربي الآسيوي وتمزيق وحدة العرب بكيانات هزيلة ضعيفة تظل تابعة للاستعمار بكل أشكاله.

تلاقت مصالح بريطانيا مع رغبات الصهاينة فأصدرت الحكومة البريطانية وعدها المشؤوم وهو وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا بتاريخ 2 تشرين الثاني/ نوفمبر 1917 الذي ينص منح الصهاينة وطن قومي لهم في فلسطين بشرط عدم المساس بمصالح سكانها العرب وكانت فلسطين آنذاك تحت الحكم العثماني. وقد بات هذا الوعد مقدسا لدى السلطة البريطانية وعملت كل المستحيلات في تنفيذه رغم كل الاحتجاجات السلمية من شعب فلسطين العربي من مظاهرات وعنف كانت تجابهه بقسوة ظالمة وقد حكمت بريطانيا فلسطين منذ عام 1918 حتى عام 1948 أي ثلاثة عقود أنجزت فيها تأمين الوعد بكل مقوماته في تأمين المؤسسات والأبنية والمرافئ البحرية مثل ميناء حيفا ومصفاة البترول، والموانئ الجوية المدنية مثل مطاري اللد وقلندية وشبكات مواصلات برية بطول البلاد وعرضها كما خلفت بريطانيا ما أقامته من معسكرات وسجون ومراكز الأمن ومؤسسات كاملة للخدمات (دوائر تعليم، زراعة، صناعة، محاكم ...الخ) إلى جاب الهجرة الصهيونية التي تم في عهد انتدابها إذ كان عدد اليهود بفلسطين وقت انتدابها 56000 فرداً وأصبح عددهم بعد انسحابها 650000 نسمة.

كل هذا تسلمته العصابات الصهيونية من بريطانيا عند انسحابها من فلسطين وتركت للعصابات الصهيونية السيطرة على باقي فلسطين ولم تترك لأهالي البلد من مؤشر حضاري سوى البيوت المهدمة لمعارضين لسياستها وتعد بآلاف والسجون والمعتقلات والتشريد وإليك ما قامت به العصابات الصهيونية من مجازر لعرب فلسطين.

1) **مذبحة قريتي بلد الشيخ وحواسة** بتاريخ 31-12-1947: أمام باب مصفاة بترول حيفا، ألقى الصهاينة وهم في داخل حافلة مصفحة قنبلة قتلت عدداً من العمال العرب كانوا مجتمعين بفسحة الباب ووصل الخبر إلى العمال في الداخل ثار العمال العرب وأكثرهم من قريتي حواسة وبلد الشيخ هاجموا العمال اليهود الموجودين بالمصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد وقتلوا وجرحوا نحو

ستين منهم عندها قامت المنظمات الصهيونية بمهاجمة المساكن المتطرفة في القريتين الآمنتين ليلاً فرموها بالقنابل اليدوي وأمطروها برشاشاتهم لمدة ساعة وخلفوا وراء هذا الهجوم المفاجئ 30 شهيداً وجريحاً وأحرقوا عشرة بيوت .

2) **مذبحة قرية سعسع قضاء صفد** في 14-2-1948: شنت عصابة البالماخ الصهيونية هجوماً على قرية سعسع دمرت فيها 20 منزلاً فوق أصحابها وأسفر الهجوم عن 60 نسمة معظمهم من النساء والأطفال وقدتماها العدو بهذه الجريمة واعتبرها مثالية يعتز بها.

3) **مذبحة رحوفوت قرب الرملة** بتاريخ 27-2-1948: حدثت في حيفا قرب مستوطنة رحبوت، حيث نسف الصهاينة قطار القنطرة للركاب الأمر الذي أسفر عن استشهاد 27 عربياً وجرح ستة وثلاثين آخرين.

4) **مذبحة الحسينية** في 13-3-1948: قامت عصابة الهاجاناه بالهجوم على القرية وعملت على تدميرها وأسفرت المذبحة عن استشهاد ثلاثين عربياً.

5) **مذبحة بنيا ميناه** في 27-5-1948: لقد حدث في هذا الموقع مذبحتان حيث نسف قطاران أولهما تم في 27-5-1948 وأسفر عن استشهاد 24 فلسطينياً وجرح أكثر من 61 آخرين وتمت العملية الثانية في 31-5-1948 حيث استشهد أكثر من 40 عربيا وجرح 60 آخرون.

6) **مذبحة دير ياسين** في 9-4-1948: مجزرة ارتكبتها منظمتان صهيونيتان إرهابيتان هما الأرغون والتي يرأسها مناجيم بيجن رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد والمحكوم عليه من قبل حكومة الانتداب البريطانية بعشرين عاما وتم الهجوم باتفاق كسبق مع منظمة الهاجاناه وراح ضحيتها زهاء 260 فلسطينياً من أهالي القرية معظمهم مدنيين عزل، وكانت هذه المذبحة وغيرها من أعمال الإرهاب والتنكيل المحرمة دوليا وهي إحدى وسائل البطش التي تبنتها العصابات الصهيونية لإفراغ الأرض من أصحابها والسيطرة على فلسطين العربية وكل هذا تحت أنظار سلطة الانتداب وحراب جنودها المسلطة على عرب فلسطين.

7) **مذبحة الطنطورة** في 22-5-1948: هاجمت كتيبة 23 التابعة للواء الاكسندروني ليلاً قرية الطنطورة واحتلتها بعد ساعات وانهمك الجنود الصهاينة بملاحقة ومطاردة البالغين من الذكور وقتل من يقابلوه بعد أن قسموا بعضهم إلى فرق توزعوا في القرية. وقد جمعوا جثث القتلى وعددهم التسعين شهيداً من خيرة شبان القرية وطمروهم في حفرة، ولم يكشف الخبر عنهم إلا قيام طالب جامعي يهودي بتقديم رسالته والتي خصها في المذبحة وأخذ مصادره من أفواه من قابلهم من ذوي الشهداء وضباط الجيش الإسرائيلي وملفات العسكر.

8) **مذبحة قرية الدوايمة** في 29-10-1948: هاجمت الكتيبة التابعة لمنظمة ليحي الصهيونية بقيادة موشي ديان قرية الدوايمة في منصف الليل وحاصرت المصفحات البلدة من كل أطرافها ما عدا الجانب الشرقي للسماح لأهلها بالهرب، وقام أفراد المنظمة بتفتيش المنازل وقتلوا كل من صادفهم من السكان ونسفوا بيت المختار، وقد لجأ بعض المسنين الى مسجد القرية واحتموا فيه وقتل منهم 75 رجلا كما لجأت 36 عائلة إلى مغارة البلدة، وفي اليوم الثاني وصلتهم قوات الإرهاب جميعا بالقنابل والرشاشات، وقد حاول البعض من أهل القرية التسلل إلى بيوتهم لجلب الطعام والشراب والثياب وقد جرى اقتناصهم وقتلهم كما نسفوا عدة بيوت بمن فيها. ثم جمع الصهاينة الجثث وألقوها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة والتي لم يكشف عنها إلا عندما نشرت صحيفة حداشوت الإسرائيلية تحقيقاً عنها، وقد أقام الصهاينة مستعمرة " أماتزيا" على أرض القرية المنكوبة.

9) **مذبحة يازور قرب يافا** في كانون أول عام 1948: تقع القرية على مفترق طرق تعرضت القوافل الصهيونية الى عنف المقاومة العربية كانت آخرها أن اصطدمت سيارة حراسة يهودية بلغم أردى بحياة ركابها وكانوا سبعة، فوجه ضابط عمليات منظمة الهاجاناه بيجال يادين أمراً الى قائد البالماخ بيجان آلون بالقيام بعملية عسكرية ضد القرية تتضمن نسف وإحراق منازل وقتل سكانها. قامت العصابات الصهيونية الإرهابية في 22 كانون الثاني/يناير 1949 أي بعد 30 يوماً من حادث الحراسة وتولى إسحق رابين عمليات الملباخ فهاجم القرية فجر ذلك اليوم فنسفت قواته العديد من المنازل ومباني منها مصنع الثلج وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل 15 فلسطينياً من سكان القرية وهم نيام، وتعود أهمية هذه المذبحة إلى أن الشخصيات المعتدلة بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل اشتركوا في هذه المذبحة كما أن توقيت الجريمة جاء بعد إعلان قيام الدولة ولم تنشر تفاصيل الجريمة إلا عام 1981.

10) مذبحة شرفات في 7-2-1951: في الثالثة من صبيحة يوم 7-2-1951 وصلت سيارات قادمة من القدس وعلى ثلاثة كيلو مترت ونصف عن خط سكة الحديد جنوب غرب المدينة وتوقفت حيث ترجل منها نحو ثلاثين مسلحاً صهيونياً واجتازوا خط الهدنة وتسلقوا المرتفع باتجاه القرية المطلة على القدس، فقطعوا الأسلاك الشائكة واحاطوا ببيت المختار ووضعوا عبوات ناسفة في جدرانه ونسفوها بمن فيها وانسحبوا تحت حماية نيران زملائهم والتي أصابت أهل القرية وأسفرت المذبحة عن سقوط عشرة من القتلى وثلاث نساء وخمسة طفال وثمانية جرحى كلهم من النساء والأطفال.

11) **مذبحة بيت لحم** في 26-1-1952: وفي ليلة عيد ميلاد السيد المسيح الطوائف الشرقية قامت دورية صهيونية بنسف منزل قريب من بلدة بيت جالا على بعد 2 كم من بيت لحم وأطلقت النار على منزل آخر بالقنابل اليدوية فقتل صاحب المنزل وزوجته، وطفلان وجرح طفلان آخران من العائلة.

12) مذبحة قرية قلمة في 29-1-1953: هاجمت سرية معززة تتألف من 120-130 جندياً صهيونياً قرية قلمة العربية الواقعة في الضفة الغربية حيث دكت القرية بمدافع الهاون فهدمت بعض بيوتها وخلفت تسعة شهداء مدنيين الى جانب عشرين جريحاً.

13) مذبحة قلقيلية في 28-8-1953: حرص أهل قلقيلية على جمع المال وشراء لأسلحة للدفاع عن أنفسهم لما لمسوه من جرائم العصابات الصهيونية في إبادة شعب فلسطين. واستمرت المناوشات بين الطرفين، ولم يكتم الصهاينة غضبهم وفشلهم في كسر شوكة أهل القرية حتى أن موشي ديان صرح بقوله " سأحرث قلقيلية حرثاً" وذلك أثر فشل عدة محاولات لاحتلالها وبشكل خاص في اشتباك يونيو 1953. وفي التاسعة من مساء العاشر من تشرين أول عام 1953 تسللت الى قلقيلية مفرزة الجيش الصهيوني تقدر بكتيبة مشاة وكتيبة مدرعات تساندها مدفعية ميدان ونحو عشر طائرات مقاتلة، فقطعت الأسلاك الشائكة وأسلاك الهاتف وزرعت بعض الألغام في الطرق في الوقت الذي احتشدت فيه قوة كبيرة من المستوطنات القريبة، وقد تحركت في الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه وهاجمت قلقيلية من ثلاثة جهات مع التركيز على مركز الشرطة، لكن الحرس الوطني أفشل الهجوم وتراجع العدو بمدرعاته , وبعد ساعة عاود العدو الهجوم بكتيبة مشاة تحت حماية المدرعات واحبطت العملية على يد النجدات القادمة من أهل القرية وما جاورها وتراجع العدو ثانية وقد تكبد خسائر واضحة.

تأكد سكان القرية أن هدف العدو هو مركز الشرطة فزادوا قواتهم حوله وحشدوا أعداداً كبيرة حوله وقد استغل العدو هذه الظاهرة فقذفوا التجمعات بالمدفعية الميدانية وقذفت الطائرات رشاشاتها وقنابلها وتقدمت آليات العدو البى مركز الشرطة واحتلوه ثم تابع العدو تقدمه وهو يطلق النار من رشاشاته على البيوت وقتل كل من يصادفهم في الطريق وكان حصيلة المذبحة الغير متكافئة قرابة سبعين شهيدا من سكان القرية وما حولها الى جانب الخسائر المادية التي لحقت ببيت أهل البلدة وما أكثرها .لقد تحركت وحدة من الجيش الأردني والقريبة من القرية واصطدمت بأ لغام العدو التي زرعها في الطريق فتكبد بعض الخسائر وقام بعدها بقصف تجمعات العدو بالمدفعية الميدانية وكبدهم بعض الخسائر.

14) **مذبحة قيبية** في 15-1-1953: في كتاب صدر في تل أبيب عام 1969 باللغة العبرية يرصد مؤلفه (يوري فلنشتين) العمليات التي قامت بها الفرقة 101 الشهيرة والمتخصصة بتدمير القرى العربية والتي يرأسها "آريل شارون" ونائبه شالوم والذي يحكى عنه في إسرائيل أنه أجهز على الجرحى في

مستشفى شرم الشيخ العسكري عام 1956 وقد قامت هذه الوحدة بسلسلة من العمليات الإرهابية خلال عام 1953 بلغت ذروتها في مذبحة "قيبية" القرية الوديعة الواقعة في الضفة الغربية، وقد تذرعت السلطة الصهيونية في بداية الأمر بأن الهجوم جاء إنتقامي لمقتل امرأة يهودية مع طفلها كما مارست الخداع بادعائها أن مرتكبي الحادث هم من المستوطنين وليسوا قوات نظامية إلا أن مجلس الأمن الذي أيدته اعترافات بعض القيادات الصهيونية بأن الهجوم على المرأة وطفلها خطط له منذ زمن بعيد لذلك لابد من الانتقام واسفرت مذبحة قيبية عن سقوط 19 قتيلاً من المدنيين العزل ونسف 41 بيتاً ومسجد وخزان مياه القرية، وقد أبيدت أسر بكاملها مثل عائلة عبد المنعم قاووس المؤلفة من 12 فرداً.

وتعد مجزرة قيبية علامة بارزة في انتهاك دولة الصهاينة للقانون والأعراف الدولية فضلاً عن حقوق الإنسان ونموذجاً سافراً لسياستها الإرهابية والأمم المتحدة المغلوب على أمرها لا يصدر عنها سوى الاستنكارات الخجولة وبصاق تافه سرعان ما تلحسه قبل أن يجف.

15) **مذبحة دير أيوب** في 29-5-1954: في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم خرجت من القرية ثلاث بنات لجمع الحطب تراوحت أعمارهن بين الثامنة والثاني عشرة، وعند وصولهم إلى نقطة قريبة من القرية وعلى بعد 400 متر من خط الهدنة فاجأهم بعض الجنود الصهاينة وهربت طفلة فأطلقوا عليها النار وأصابوها في فخذها وتحملت الطفلة وتابعت الركض حتى وصلت بيت أهلها وأخبرتهم بما جرى.

أسرع أهل الطفلتين الى المكان المذكور، وشاهدوا نحو إثني عشر جنديا يسوقون أمامهم الطفلتين باتجاه بطن الوادي في الجنوب حيث أوقفوهما وأطلقوا عليهما النار واختفوا وراء خط الهدنة وقد توفيت إحدى الطفلتين مباشرة وفي اليوم توفيت الأخرى بالمستشفى الذي نقلت اليه.

16)**مذبحة نحالين** في 29-5- 1954: قامت قوة من الجيش الإسرائيلي مؤلفة من 300 من اجتياز خط الهدنة وتوغلت في أراضي الضفة الغربية مسافة أربعة كيلومترات حتى وصلت إلى قرية نحالين بالقرب من بيت لحم حيث ألقت كمية من القنابل على تجمعات من سكان القرية وبث الألغام في بيوت القرية ومسجدها وأسفرت المجزرة عن استشهاد أحد عشر من سكان القرية وجرح أربعة آخرين.

17) **مذبحة كفر قاسم** في 1956/10/29: وعشية العدوان الثلاثي على مصر تولت قوة من الجيش الإسرائيلي تنفيذ حظر التجول على المنطقة التي تقع عليها بلدة كفر قاسم في منطقة المثلث على الحدود مع الأردن بالضفة الغربية، وقد تلقى قائد القوة ويدعى الرائد شموئيل ملنيكي الأوامر بتقديم موعد حظر التجول في المنطقة الى الساعة الخامسة مساًء وهو الأمر الذي يستحيل تنفيذه خاصة أولئك الذين يعملون خارجها وهو ما نبه اليه مختار القرية حينها الى قائد القوة الإسرائيلية، كما تلقى

شموئيل ملنيكي توجيهات واضحة من العقيد (شدمي) "بقتل العائدين إلى القرية بقوله: (الأفضل أن يكون هناك قتل لا نريد اعتقالات، دعنا من العواطف) وكان أول الضحايا أربعة عمال رحبوا الجنود بكلمة شالوم فردوا عليهم التحية بحصد ثلاثة منهم بينما نجا الرابع ظناً منهم بأنه خر أرضاً مع الآخرين ولقي مصرعه، كما قتلت مجموعة منهم 2 امرأة كن عائدات من جمع الزيتون وذلك بعد أن استشار الملازم جبرائيل دهان القيادة باللاسلكي، وعلى ساعة ونصف الساعة سقط 49 شهيداً و13 جريحاً هم ضحايا المذبحة وقد لوحظ بأن جنود الاحتلال شلحوا الضحايا نقودهم وخواتم أيديهم وساعاتهم اليدوية.

ظلت السلطات الإسرائيلية ملتزمة الصمت عن المجزرة أسبوعين إلى أن اضطرت لإصدار بيان من مكتب رئيس الدولة عقب تسرب أنباء إلى الصحف ووسائل الإعلام، وتغطية على الجريمة أجريت محاكمة ثلاثة عشر منهما على رأسهم العقيد شدمي واسفرت المحاكمة عن تبرئة شدمي حيث شهد لصالحه موشي حاييم بينما عوقب ملنيكي بالسجن 17 عاماً وعوقب دهان وشالوم عوفر بالسجن 15 عاماً في حين حكم على خمسة آخرين بأحكام تصل إلى سبع سنوات وحظي الباقي بالبراءة. وإذا كانت محاكمة المتهمين الصهاينة بدأت بعد عامين من المذبحة فإنه قبل عام 1960 كانوا جميعاً خارج السجون أحراراً حيث أصدر إسحق تسفي رئيس دولة إسرائيل عفواً عنهم، بعدها سارع الملازم دهان بالرحيل إلى باريس معلناً سخطه على التمييز التي تمارسه السلطات بين السفارديم وهم اليهود الشرقيين.

المراجع

- فلسطين بالذاكرة
- كل المجازر الواردة، مصدرها (الذاكرة الفلسطينية إنترنيت)

الفصل الثامن

سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة "إسرائيل"

سياسة الانتداب البريطاني والصهيوني في شعب فلسطين منذ أن وطئت بريطانيا فلسطين و احتلتها عام 1948 عملت على تنفيذ وعد بلفور في إقامة وطن قومي لليهود بكل يلزم من تيسير الهجرة وسلخ أراضي وتشجيع المؤسسات من مدارس وجمعيات ونوادي وطرق ومواصلات ومرافق من موانئ بحرية ومطارات ومعسكرات وكبح لأصوات المعارضة من اعتقال وإعدامات لشعب فلسطين ,وبقيت بريطانيا ثلاثين عاماً سنة 1938 وقد أمنت للصهيونية دولة قائمة على طبق من ذهب تاركة شعب فلسطين يأن تحت احتلال "إسرائيل" وزادت الإمبريالي الأمريكية من تقوية الصهيونية حتى باتت السلطات الصهيونية تهدد العرب والمسلمين في عقر ديارهم وساعدتهم في التمادي على حكام العرب أجمعين ومن الممارسات التي واجهها الفلسطينيون والعرب من بريطانيا و"إسرائيل".

في الزراعة

أرض فلسطين في خصبة تربتها ومناخها المعتدل من حرارة ومطر وأودية دائمة وسيلية وينابيع دائمة وخبرة قديمة متطورة كلها جعلت فلسطين غنية بزراعتها والكل يعلم بهذه الشهرة والغنى من قديم الزمان ذلك كانت محط أنظار الطامعين من جوار وأغراب مرت بها القوافل العالمية وداستها الجيوش الغازية وتقلبت فيها السلطات والعروش طرحت بأسواقه بضائع الأمم والشعوب من توابل هندية وكتان وقطن وسكر مصري وبن يمني ونسيج دمشقي وصباغة فنيقية وزجاج فخار نحاس كنعاني حديد فلسطيني سيوف شامية بأشكالها وأنواعها ونماذج ومجسمات منحوتة في الخشب والحجر والرخام والعظم إلى جانب القنب والأرز والحبوب والبقول بأنواعها.

كانت التجارة نشيطة بين الأقاليم والقوافل تسعى بين أقطارها السفن تمخر البحار محملة بكل البضائع الخيرة والمؤن تعين المغيث وتسد أفواه الجائعين وتطفي السعادة على جه المحرومين تبعث الأمل في قلوب القانتين ولا زالت الفنون وقوالبها تتمتع بها منطقة القدس ورام الله وبيت لحم من حفر على خشب الزيتون لصنع نماذج متعددة وأشكال متنوعة من ترصيع الخزف بالخشب، وما تنتجه الإناث في رام الله ومحيطها من أشغال غاية في الجمال من حياكة وشغل الإبرة في تطريز الثياب والتي نالت إعجاب نساء الغرب قبل إناث العرب وخلقت أسواقاً رائجة للفنانين وما أكثرهم تعوض ما سلبه العدو من أهل فلسطين وباتت هذه الصناعة وصدر رزق لأكثر المواطنين تحت الاحتلال هذا كان وضع أطماع الغزاة الطامعين ومما زاد مقامها العالمي ظهور الأديان السماوية فيها بركنها المقدس مدينة القدس الشريف، مدينة السلام

والمحبة والإخاء المؤمنة برب العالمين رب السماوات والأرض أجمعين لخلق الناس التي لا تعرف التعصب والتمييز الكراهية التي لاتقوم على الغدر مثل الدولة المنتدبة عملت خلال الثلاثين عاماً في حكمها لفلسطين على تحقيق هدفها مقاومة كل المعارضة لهذا الهدف من قتل إعدامات سجون نفي لكل النشطاء من أبناء فلسطين بينما ساعدت الهجرة الصهيونية شجعتها ودعمتها قدمت للصهاينة وعصاباتهم الدعم العسكري والحماية والتدريب المستمر أمام التجارة وإغراق الأسواق بالحبوب بأسعار منافسة لأسعار الحبوب المحلية مما أساء للتجار العرب كذلك للبقول حتى الزيت صار لها منافس في أسواق فلسطين الهدف هو إفقار الناس، هذا ما عبر عنه حاكم حيفا جورج ستيوارت في رسالته تقريراً عن انكماش الظروف الاقتصادية وتدهورها مما له من أثر في موجة الاستياء التي تعم سكان العرب في فلسطين إلى حد تجاوب معه القروين مع حملات التحريضية المضادة للحكومة يتابع هذا الحاكم في رسالته يقول" فالأعمال في عكا وشفا عمر متوقفة في حيفا تكاد تكمن جميع أنواع العمل التي تعد بالربح على العرب متدهورة، كما أنه من الواضح أن الحواجز الجمركية في سرية أخذت تقتل الترانزيت فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع المفرق يتوقف عن العمل، بل أن الحمالين وغيرهم يمارسون أعمالاً مؤقتة، قد أخذ بعضهم يتأثر بسبب الأفضلية التي منحت للمؤسسات اليهودية أصحاب العمل اليهود يتعاملون إلا للمهاجرين من اليهود الجدد من العمال، إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة والدخل شبه معدوم.

أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية) فإنهم كادوا يصلون لحالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخيلهم بواسطة أية أعمال أخرى إن بعضهم يواجه الإفلاس، ليست حالة صاحب الأرض الكبير خيراً من ذلك بكثير فهو مثقل بالدين ليس في وسعه الحصول على مزيد من القروض فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الأسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه أنه ليجد من الصعوبة عليه أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من الأراضي بسعر معقول، يرى ساكن المدينة أن ما يعانيه لن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عنه من الهجرة اليهودية.

أما البدو فإن عليهم إما أن يتحولا إلى فلاحين أو يهاجروا خارج فلسطين، فشردتهم واستولت على أملاكهم من عقارات أثاث أراضي بمراسيم سلطة غاشمة استغلت مناصرة الاستعمار أمريكا في الأوساط الدولية، من عمليات طرد عرب فلسطين من قراهم في 1951/2/1 طرد إلى خارج فلسطين سكان 12 قرية فلسطينية تقع في وادي عارة في منطقة المثلث، طرد سكان أم الفحم ثم نسفت بيوتهم.

اتبع الصهاينة سياسة الطرد الانتقائي الذي يقوم على اختيار لبضع عشرات من الرجال النشيطين من كل قرية و طردهم خارج الحدود لتلحق بهم عائلاتهم وقد طردت كذلك قبائل بأكملها مثل البقارة التي

أجبرت على مغادرة بلدتها بالقوة العسكرية إلى الحدود السورية وانتظم شبانها ورجالها البواسل في كل الانتفاضات والثورات التي حدثت من ثورات الأعوام: 1929 و 1936 و 1948، وكم عانت البلدة من حكم جيش الانتداب البريطاني وممارساته القمعية في تفتيش البيوت بحجة العثور على سلاح فيخلط الجنود مؤن المواطنين مع بعض ويخربون ويسرقون ما طاب لهم وذلك بغياب أصحاب البيوت من أهلها الذين أخرجوهم من مساكنهم ليجمعوهم في أماكن خاصة ويحظروا التجوال في القرية.

كانوا يجمعون النساء والأطفال في باحة مكشوفة أو في أحد البيوت التي تحوي باحة، أما الرجال فيجمعون في مركز آخر ويجري استجوابهم من قبل الجنود تحت التهديد والضرب المبرح وإذا تأكدوا أن صاحب البيت له صلة بالثوار يهدمون بيته بالمتفجرات وكم هدمت بيوت في كثير من قرى فلسطين ومنهم قرية الفريديس، ومن ظلم سلطات الاحتلال انحيازها للمهاجرين الغرباء اليهود ومنحهم كل عوامل القوة مثل: منحهم الأراضي الفلسطينية الخصبة من أملاك الدولة العثمانية، وتنفيذ أوامر المحاكم التي أوصت بإخلاء الفلاحين من أراضي اشتراها الصهاينة عن طريق وكلاء من مغتربين ليسوا من فلسطين كانوا استلموها من الدولة العثمانية مثل سهل مرج ابن عامر ووادي الحوارث ومنطقة الحولة.

1- إغراق الأسواق الفلسطينية بالمنتوجات الزراعية من حبوب وبقول وعرضها لتضارب الإنتاج الزراعي الفلسطيني وتقضي على حياة الفلاحين.

2- وضع الضرائب على البيوت والبضائع والأراضي وتحذر من ترك الأرض بدون استغلال وإلا تسحب الأرض من صاحبها إذا تركها أكثر من سنتين بدون زراعة.

3- السماح للمهاجرين اليهود بالدخول وتشجيع الاستيطان وتنسق مع المنظمات الصهيونية لتنفذ وعد بلفور الاستعماري رغم وعودها للعرب بالحد من الهجرة عبر الكتاب الأبيض الأول والثاني.

4- عدم التزامها بقرار التقسيم ومحاولة ردع رجال الهاجاناة من احتلال المدن وبعض القرى وجيش بريطانيا لايزال على أرض فلسطين أي قبل إعلان انسحابه المقرر في 1948/5/15 مثل حيفا ويافا وصفد والعديد من القرى قضاء يافا.

5- تأسيس بريطانيا جيشاً لإسرائيل القادمة بإشراك الهاجاناة من جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية وكان نواة الجيش الإسرائيلي، بينما كانت المشانق في عكا تعقد كل ثلاثاء من كل أسبوع لتقدم شهيداً على الأقل أسبوعاً ولم نشاهد خلال هذه فترة الاعدامات أي مشنوق يهودي علماً أن كثيراً منهم كانوا معتقلين في سجن عكا بعد أن ثاروا ضد الاحتلال البريطاني وتعليق الجنود البريطانيين على فروع الزيتون وإعدامهم بالجملة وكان المسؤول عن هذه الجرائم الإرهابي مناحيم بيغن الذي حكمت عليه

بريطانيا بعد أن فجر فندق الملك داوود عشرون عاما وبعد ذلك أصبح رئيساً لوزراء "إسرائيل". وقد زرت بريطانيا عام 1977 ولمست الاستنكار وكانت حجة الحكومة البريطانية بأن الحكم سقط عنه لتقادم التنفيذ لامتعاض بين أساتذة جامعة درم وفي هذا السياق أعرض للقارئ الكريم قصة تعبر عن ردود فعل البشر في محاربة القهر والظلم.

كنت من سكان عكا وفي عام 1947 وفي شهر آب سمعنا انفجاراً هائلاً هز المدينة بشكل عنيف وكنت أعمل في مكتب أحمد الشقيري الملاصق لسينما البرج فوق بوابة عكا القديمة، وما هي إلا لحظات وقد رأيت سيارة بيك أب مغلقة من فوقها بغطاء وهي تمشي باتجاه البوابة وأمامها شخصان بلباس جنود انكليز ويصرخون على الناس بالشوارع بالتزام المحلات ولما خرجوا من البوابة لاقتهم سيارة جيب بريطانية قرب البوابة وكان فيها جنديان من جنود الطيران (براشوت) وعليها رشاش مركب على حامل ولما رأى الصهاينة سيارة بريطانية أطلقوا عليها النار من رشاشاتهم وقد اصابوا أحدهم الواقف خلف الرشاش (الهوشكز) فقتلوه فوراً ولما رأى رفيقه ما حصل وكان يسوق السيارة ولحق بهم وقد ركبت دراجتي ولحقت بهم وقالوا لي أنهم راحوا عن طريق صفد وأخذت طريق مختصر أعرفه ووصلت إلى شمال تل الفخار بعد عين العجلة ووجدت الجندي قد سبق سيارة الارهابين ووقف وراء الرشاش وما أن اقتربت سيارة الارهابين وعرفت سيارة الجندي وأرادت الرجوع وتهرب فما كان من الجندي المفجوع بزميله إلا أن أطلق رشاشه على السيارة وقتل سائقها وانقلبت السيارة وأخذ المساجين الذين فيها يهربون بين الزرع الجاف فاخذ يضربهم ويلاحقهم برشاشه ويصليهم نار حامية وكان الأولاد أمامي عندما يرى أحدهم بين الزرع فتصرخ للجندي بقولنا مستر مستر هذا واحد فيلقى مصرعه.

وبعد أن تم الجندي مهمته دخل سيارة (الجيب) ونقل رفيقه وضمه إلى صدره ولسان حاله يقول:" لقد انتقمت لك يا عزيزي" ثم انطلق بسيارته راجعاً إلى حيث كان على شاطئ عكا الشرقي حيث نزل زملاءه واليوم لا أعرف مصير ذلك الجندي الذي قتل منهم 22 سجيناً مع جنديين من رجال مناحيم بيغن.

كان الهدف كان عند منظمة شتيرن تحرير جماعتهم من سجن عكا إذ كانت الخطة ان تذهب ثلاث سيارات بيك أب إلى مدرسة البنات وهناك يقومون بغلق الشوارع خلف السجن ثم يركبون سلالم بحجة تصليح الكهرباء ويحفرون جدار السجن ويفجرونه بالاتفاق مع نزلاء السجن من اليهود وهذا سبب الانفجار الذي عمل فتحة خرج منها السجناء اليهود ثم تبعهم السجناء العرب.

6- التعاون البريطاني مع المنظمات الصهيونية العسكرية مما رأيته:

- أن الشهيد أحمد الحنيطي جاء بسيارة مسلحة من لبنان قاصداً حيفا للقاء القوات الصهيونية عند عبور رأس الناقورة بين لبنان وفلسطين أخبر الضباط الانكليز رؤساء اليهود بهذه السيارة ولما وصل الحنيطي إلى عكا حذره الأهالي بأن ينقل الأسلحة عن طريق البحر، ولكن الرجل رأى أنه يتأخر في نجدة إخوانه في حيفا وواصل طريقه وبعد مغادرته عكا سمعنا من عكا انفجاراً ضخماً وعرفنا بعدها أن الشهيد دمر السيارة بالمتفجرات واستشهد هو وزملائه وقتل العديد من الصهاينة في مستعمرة موتسكن، وقد نقل خبر السيارة إلى الصهاينة موظفون إنكليز في رأس الناقورة ولو أنه أخذ بنصيحة العكاويين لنجا، وقد تبع ذلك الحادث مباشرة رد ثوار عكا.
- توجه أربعة من مهندسين الكهرباء الصهاينة في سيارة إلى نهاريا بحراسة مصفحتين بريطانيتين وعند قدومها تصدت القوات العكاوية لهما فعطلت سيارة الحراسة الأولى وتابعت سيارة المهندسين طريقها وتناولها الحاجز الثاني وألقوا عليها القنابل عن سطوح المنازل فقتل السائق وانقلبت السيارة وأخرج المقاتلون من فيها وقتلوهم انتقاماً للشهيد الحنيطي ورفاقه، قد شاهدت تلك الأحداث وكنت أراها أمامي حتى أنني أذكر وأنا أرى جثث القتلى على الأرض وقد حمل أحد الشباب (شبريته) وصاح قائلاً أمشوا فوق جثثهم، وقد حاولت بدوري أن أدوس ولم أكمل لأنني قرفت هذا المنظر ولم أعد أميز وجه القتيل وقد دمر الرأس تماماً وبين رعشات رجلي وهي تدوس وكأنني أدوس على فرشة إسفنج ولم أكمل السير وتألمت من هذا المنظر غير الأخلاقي أبداً.

7- تسليم الإدارة العسكرية البريطانية جميع معسكراتها وما فيها إلى العصابات الصهيونية وكانت هذه المعسكرات عوناً كبيراً للسلطات الصهيونية ساعدتهم في مواصلة الحرب ضد العرب.

8- لقد أعانت حكومة الانتداب المهاجرين الصهاينة لإنشاء دولة ضمن دولة لإعلان الدولة الإسرائيلية التي يحتفل الإسرائيليون بقيامها في 28 نيسان من كل عام بينما لم تسمح للعرب بأي جمعية أو منظمة أو إدارة يمكن اعتمادها لإدارة البلاد بعد رحيل الانتداب عن فلسطين.

هذا شيء من كثير مارسته حكومة الانتداب ضد شعب فلسطين العربي خلال ثلاثين سنة من الاحتلال من وعد بلفور مرورا بإخماد ثورات عرب فلسطين حتى الجلاء عن فلسطين عام 1948.

أما ما قامت به الصهيونية وما لديها من إعلام وما أكثره في تزييف الحقائق وقلب المفاهيم وأركز على البعض منها:

إن فلسطين هي أرضهم وأن اليهود وعدوا بها بينما الآثار تثبت عكس ذلك وأن شعب اسرائيل قد انتهى في حملات نبوخذ نصر ويوليوس اليوناني في القرن السابع ق.م والقرن الأول ميلادي، حيث القائد الروماني طيطس دمر الهيكل ولم يعرف مكانه أن الدين اليهودي يشكل قومية وهذا مخالف لكل مقومات القومية فالديانة اليهودية معتقد وليس هناك ما يجمع اليهودي اليمني باليهودي الاسكندنافي واليهودي الخزري مع اليهودي الافريقي وإذا اجتمع خمسة من المهاجرين من بلدان مختلفة لا تجمعهم لغة أو دم وهم بحاجة إلى تراجم لتتم عملية التواصل فيما بينهم.

- قالوا إنهم انتصروا على سبعة جيوش عربية وإن الواقع غير ذلك.
- إن جامعة الدول العربية تأسست عام 1945 أي بعد الحرب العالمية الثانية والدول السبع كانت تحت الاستعمار البريطاني والفرنسي ولم يمض على استقلالها أكثر من ثلاثة أعوام. وكانت كلها مرتبطة بالإنكليز والفرنسيين فالأردن كانت مرتبطة بالإنكليز وجيشها يحكمه ويسيره جنرال جلوب باشا وهو القائد الفعلي للجيوش العربية العتيدة والذي عزله الملك حسين بن طلال وتخلص منه.
- والعراق كان مكبلاً بمعاهدة مع بريطانيا وهي معاهدة 1936م وأغلب ضباط الجيش من الإنكليز.
- ومصر كانت تحكم بنظام ملكي ومرتبط بمعاهدة مع بريطانيا، والجيش البريطاني جاثم على قناة السويس وسورية كان لها جيش مستقل تنقصه المعدات والجنود المدربة إذ قام الضباط الفلسطينيون عام 1949 – 1950 وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري بعد انقلاب حسني الزعيم على شكري القوتلي.
- والجيش اللبناني هو جيش مرتبط بفرنسا ولا يعنيه حرب إسرائيل لا من قريب أو بعيد واليمن السعيد بعيد عنا آلاف الأميال وتحت حكم الإمامة الذي كان يبيع إمامهم طوابع البريد في ديوانه.
- والسعودية التي كان ملكها مشغول بتوطيد ملكه في الجزيرة العربية وليس عنده القدرة لتحدي الدول الغربية التي كانت تخطط للسيطرة على إنتاج البترول وبشكل خاص الشركات الأمريكية وقد سبق للأمين العام للجامعة العربية "السيد عبد الرحمن باشا" ومعه وفد فلسطيني يرجونه بأن يشترط على الشركات بأن تقف حكومتهم مع حق الشعب الفلسطيني وبشكل محايد لا أن تساعد الصهيونية ولم يقتنع الرجل بهذا الطلب الذي كان لو تحقق لما خرج الفلسطينيون من ديارهم.
- هذه أوضاع الجيوش العربية التي تتبجح إسرائيل بأنها هزمت سبعة جيوش عربية علماً أن شباب عرب فلسطين وقفوا ضد القوات الإسرائيلية ولم تستطع الصهيونية احتلال أي قرية خاصة القرى التي كانت بالقرب من الجيش العراقي في منطقة جنين وطولكرم في بلدة الطيبة، إذ أن القوات العراقية

ساندت ثوار فلسطين في قرية اجزم وعين غزال وجبع. واستطاعت هذه القرى أن تصمد بعد سقوط حيفا بأربعة أشهر.

- كانت قوات الصهاينة تزيد عن 30 ألف جندي محترف خاضوا مع الحلفاء في الحرب الكونية الثانية وكان لديهم 32 ألف مقاتل مدربون احتياط.
- قبل الهدنة الأولى كان النصر للعرب ضد القوات الصهيونية.
- تدخلت الدول الغربية لدى القادة العرب وأقنعوهم بالهدنة واستغل الصهاينة هذه الهدنة فأخذوا يجمعون الأسلحة ووسائل حربية جديدة ومنها الطيران فيما لم يوجد طائرة واحدة تدخل أرض فلسطين.
- إخراج جيش الإنقاذ من المعركة على أساس أن تحرير فلسطين مهمة الجيوش العربية التي استخدم بعضها أسلحة فاسدة كانت تقتل صاحبها أحياناً مثل الأسلحة المصرية التي كانت مصر حينها مكبلة بمعاهدة والجيش البريطاني صاحب وعد بلفور يحتل قناة السويس.

هذا قليل من كثيرو تقصير الجامعة العربية العتيدة والتي بدأت بسبع دول والآن باتت تضم (21) دولة قطرية تتنافس مع بعضها والضعف ينهش أهلها وسفاءها: كلاب للأجانب هم ولكن على أبناء جلدتهم أسود.

المراجع

(1) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير مروان الماضي

(2) بلادنا فلسطين ج1 مصطفى الدباغ

(3) الموسوعة الحرة ويكبيديا

الفصل التاسع

أدب المقاومة السلمية

لعبت المقاومة الفكرية الفلسطينية دورا رائدا في مقاومة الطامعين بأرض العرب وبشكل خاص فلسطين وكانت الثقافة الفلسطينية الفكرية هي المتقدمة منذ انتهاء الحكم العثماني وتنبه أبناء فلسطين قبل غيرهم بالخطر واستعدوا له بالعلم والمعرفة وانخرط نشاطهم في وحدة العرب وكان المتنورون منهم يسعون إلى وحدة العرب فقوتهم بوحدتهم ولم يفكروا مطلقاً بالقطرية فقد جمعتهم الجامعة العربية بميثاق هد جمعهم ونشأت الجامعة يسبعه دول وصارت الآن 21 دولة فضاعت الأمة وتفسخت أوصالها بقادة قاتلوا الوحدة واجتثوا جذورها ونحن نرى أن جاء الدور على الاسلام يجردونه من الرحمة والسلام والإخاء يزورون ويشوهون المفاهيم والحقائق ينهبون أموال العرب بأيدي سفهائهم يحرمونها على شعوبهم ويحللونها لعدوهم الذي ضبعهم بخلق عدو جديد يهرولون في نجدتهم وهم أصل الفتن والبلاء.

إنني يا أخوتي عندما أكتب عن القرى التي باتت مدنا وبلدات في فلسطين رأيت ولمست أبناء هذا الشعب كم هو جبار حقاً إذ ليس هناك قوة في العالم تستطيع إذلالة وإني أقدم للقارئ كيف يسعى هذا الشعب في حبه لوطنه أن يعمل المعجزات وقد فعل ومنها قوته الفكرية التي تجاوزت ثقافة أبناء العرب أجمعين وتتجلى بما يلي المجموعة بالصراع السياسي–الاجتماعي داخل فلسطين المحتلة ولا تغيب عنها الروح التفاؤلية.[32]

التمثيل والمسرح

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى.

وقد نشطت الحركة في المدارس إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية كل عام دراسي.

وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين مثل مسرحيات موليير وكورني وشكسبير بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمنهم فقد ظهرت مسرحيات جابر عثرات الكرام وجريح بيروت وعنترة العبسي وصلاح الدين الأيوبي ومملكة أورشليم وطارق بن زياد وفتح الأندلس وفي العقد الثاني من القرن العشرين برز اثنان من المثقفين

[32]: الموسوعة الفلسطينية خاص مج5 ص 25

الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي وهما خليل بيدس الذي أخرج بين عامي 1924–1928م في الناصرة مسرحية (السموأل) أو وفاء العرب لأنطوان الجميل أما الثاني فهو الشيخ محمد الصالح مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية. وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية عبد الكريم الخطابي التي تندد بالاستعمار الاسباني في المغرب وذلك بين عامي 1927–1928.

وقد زارت الفرق المسرحية الثلاث المصرية (فرقة جورج أبيض وفرقة رمسيس وفرقة نجيب الريحاني) فعرضت مسرحياتها في القدس فألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها فأقبلوا على التمثيل ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين فرقة نصري الجوزي إذ كان يديرها ويكتب لها ويمثل فيها.

وتأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية منها جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة اسكندر أيوب، وقد مثلت رؤية هملت لشكسبير وكانت من أقوى الفرق التمثيلية.

وتتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن يافا وعكا والقدس، وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية.

ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في 1–4–1936 وأدار القسم العربي منها الشاعر إبراهيم طوقان راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة وشجع التأليف بالاعتماد على التراث العربي رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له وتحدى الجميع وشجع فرقة (الحوزي).

أول فرقة إذاعية على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية وأشهر الفرق هي فرقة موسى سالم سلامة وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد وحسين عفيفي.

من أوائل الذين ساهموا بالتأليف المسرحي محمد عزة دروزة صاحب رواية وفود النعمان على كسرى أنو شروان التي طبعت في بيروت عام 1918 ثم تحولت إلى مسرحية مثلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس.

ومن رواد كتابة المسرحية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل إذ كتب مسرحية "شمم العرب" سنة 1914 ومسرحية أخرى "وفاء العرب" سنة 1929.

وكان أول من كتب للمسرح المدرسي نصري الجوزي عام 1935م وله مجموعتان "ذكاء القاضي" "والعدل أساس الملك" أو" لن أبيع أرضي" و"عيد الجلاء" و" فلسطين لن ننساك" وفي عام 1934م أمام المدرسان شقيق ترزي ووديع ترزي بتأليف لمسرحية "في سبيلك يا وطن" وقد لاقت رواجاً مرموقاً.

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم وهو من مواليد الناصرة وكان يصلح اللغة العربية في بيت لحم والقدس وله عدة مسرحيات مدرسية "السجناء الأحرار–غرام الميت– قبلة المحبة – صراع بين العلم والإيمان....إلخ".

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا، ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية "حسن" وترجمت للغة العربية ومثلت في القدس في الأربعينيات ثم "والي عكا" التي مثلت بنجاح على المسارح في ألمانيا.

وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقد قدم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين المسرحيات الشعرية التالية.

"وطن الشهيد" عام 1947 "شيخ الأندلس" 1949 "حرب القادسية" 1951م "الفداء" 1968، وأصدر الشاعر محي الدين الحاج عيسى المولود في صفد سنة 1897 مسرحية "مصرع كليب" 1947 " أسرة الشهيد" عن أحداث النكبة سنة 1966 وهو صيدلي وبقي في حلب.

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح فكتبت الأديبة المعروفة أسمى طوبي عدداً من المسرحيات عام 1938، مثلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة وهي "نساء وأسرار" و" صبر وفرج"،" قيصر روسيا ومصرعه"، " أصل شجرة الميلاد".

وكتب غسان كنفاني من المسرحيات الباب، والبني، وجسر إلى الأبد وصدرت جميعها سنة 1978 بعد استشهاده.

تأسس مسرح الغربال في شفا عمرو وهو أكبرها، وهو مسرح قومي عربي وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف، وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال في نحو نشاطاتها المتنوعة الأهداف. إلا أن سلطات الاحتلال كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات، وقد تعرضت فرق المسرحية نوعين من الرقابة فرقة تعمل داخل الخط الأخضر وأخرى في خارج خط الجدار (الضفة الغربية) خاصة في المناطق الواقعة تحت مراقبة الحاكم العسكري الذي حاول القاء القبض على أعضاء الفرق المسرحية (وقد منعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري وحسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم. ومن جملة المسرحيات التي منعت

من العرض مسرحية " أنا راجع يما" لمسرح آذار ومسرحية "رجال في الشمس" (ومسرحية كان الموت ونحن على الميعاد) لمسرح أبناء شفا عمرو ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن يعرض في مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة وهددت المشاركين في المسرحيتين بالاعتقال ومداهمة القاعة أثناء عرض المسرحية وضربهم على خشبة المسرح، والمسرحيتان هما (ثمن الحرية) لمسرح عبلين ومسرحية(الناطور) لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية يوم الطاحونة يوم أن أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون، واحتجزت الرقابة نص مسرحية (إجازة) لمسرح الغربال ستة أشهر ثم اضطرت إلى السماح بعرضه.

وإن فرقة الغربال في شفا عمرو تأسست عام 1967 وقد قدمت كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر (رجال في الشمس–بنادق السيدة كرام–الملك هو الملك–والحضيض–الصوت الغجري). كما أصدر مسرح الغربال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية (كفى) التي عرضها على خشبته، وبادرت فرقة الغربال إلى إقامة مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين وقد عقد في شفا عمرو بتاريخ 6 و 7 و 8/ 9/1982 وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل.

وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان هما (ثمن الحرية لفرقة الشبيبة الشيوعية في طمرة للكاتب سليم مخولي) وقامت الشرطة أيضاً باستدعاء مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم. وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء "رابطة المسرح العربي" وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي فنشأت في عام 1982 المؤسسة الشعبية للفنون ومقرها (حيفا) ويديرها الشاعر سميح القاسم.

ومن الخطوات والنشاطات الملقاة على الفنانين الفلسطينيين العرب الدعاية في الخارج والتركيز على زيف الدعاية الصهيونية وذلك بإظهار الحقائق بالوثائق والحجة القانونية كشف زيف الدعاية الصهيونية بأن المقاومة (إرهاب) بإبراز ما قامت به إسرائيل ومنظماتها الإرهابية وتوضيح محاصرة غزة لزمن طويل ولايزال على مرأى وسمع العالم كله. (1)

وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كانت أبرز العروض لها (يونس الأعرج) ل ناظم حكمت وتجدر الإشارة الى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي وقد رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد والأغاني ذات

الصلة تخدم الأهداف الوطنية العامة التي يريدون تحقيقها وأصبحت تلك الأناشيد مشهورة تطبع على أسطوانات تباع في الأسواق وتوزع على كل أنحاء فلسطين وقد لفت النظر الى نشاط فرقة الفنون الشعبية(بلالين)ومدى تطورها وما قدمته من رقصات شعبية وتجلت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب/1973 إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت الى مشاهدة أعمال المهرجان قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة.

وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين، وفي 1975/4/28 شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي بلالين (وبلا–لين) ودبابيس وكشكول وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول/1973 واتيح لتجربة بلالين أفلام نقدية تؤرخ سيرتها مثل عطية أبو رميله وفوزي السكري وواصف ضاهر وايليا الشوملي ونجوى قعوار فرح. وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن الماضي أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، وتعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادة سامح العبوشي أو فرانسوا أبو سالم والمسرحيات التي ل(بلالين)هي قطعة (حياة والعتمة) ونشرة أحوال الجو والكنز تع تخرفك يا صاحبي، ويرى محمود شقير أن أبرز القضايا والمضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

1) انتقاد التخلف الاجتماعي وتسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية ومتخلفة مثل (قطعة حياة) و(العتمة)
2) معالجة أوضاع المرأة في المجتمع الفلسطيني وضرورة منحها الفرصة في ممارسة مسؤولياتها في المجتمع (قطعة حياة والعتمة).
3) النقد الحاد للأفكار الغريبة التي تسهم في إشاعة الروح الاتكالية بين الجماهير (نشرة أحوال الجو).
4) إبراز أهمية الأرض وضرورة المحافظة عليها وعدم التفريط فيها ثم صيانتها من طمع الغرباء واغزاه (الكنز).
5) تصوير الأوضاع القاسية التي تعيشها الجماهير في ظل الاحتلال وضرورة تجاوز هذه الأوضاع بتوحيد الجهود وتحمل المسؤولية في (العتمة).
6) إبراز الدور القيادي للطبقة العاملة في عملية بناء المجتمع وتطويره من حيث الطبقة الأكثر ثورية والمنتجة للخير المادية (الغنمة).

وفي تجربة بلالين جوانب مضيئة في تجربة المسرح الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948 إذ قررت إنشاء جريدة المسرح أي أن يقوم عدد محدود من ممثليها تقديم عرض مسرحي لا يتجاوز خمس دقائق

بإحدى المدرس أو على ناصية إحدى الشوارع بهدف تثقيف الجماهير مسرحياً وقد أسست الفرقة أيضاً مجموعة أصدقاء (بلالين) التي تتكون من شبان وشابات يهتمون بالمسرح ويقومون بالدعاية لأعمال الفرقة، ويلصقون الإعلانات على الجدران ومناصريها، ولكي تغطي الفترات الواسعة بين عروض المسرحية، قدمت (بلالين) كثيراً من العروض الخفيفة التي أطلقت مجازاً اسم بستان (بلالين) وذلك أن هذه الأعمال المسرحية القصيرة كانت تجري في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة.

وقد كان أبرز العروض (يونس الأعرج) لناظم حكمت وتجدر الإشارة إلى أن أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي رأى أعضاؤها ضرورة تضمين بعض الأناشيد والغنيات ذات الصلة الوثيقة بالأهداف الوطنية العامة التي يرمون إلى تحقيقها فأصبحت تلك الأناشيد والأغنيات تنزل على أسطوانات يجري بيعها وتوزيعها في مختلف أنحاء فلسطين، وقد لفت نشاط فرقة الفنون الشعبية التابعة و(بلالين) ومدى تطورها الفني من خلال المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب عام 1973 إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان آتية من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة، وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين.

وفي 28-4-1975 شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي (بلالين) و(بيالين) و(دبابيس) و(كشكول). وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول عام 1973 واتيح لتجربة (بلالين) أقوال نقدية تؤرخ مسيرتها مثل عطية أبو رويلة وفوزي البكري وواصف ضاهر وإيليا الشوملي ونجوى قعوار فرح.(2)

أما الكاتب اللامع إميل حبيبي ومسرحية المأساة في (لكع بن لكع) فقد أصدر الروائي حبيبي حكاية مسرحية لكع بن لكع راوياً سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام 1948م حتى أواخر السبعينات مروراً بأحداث الأردن ولبنان ومعاهدة كامب ديفيد في ثلاث فصول أو ثلاث جلسات أمام صندوق العجب وحكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن المسرحي وذلك أنها لا تقع على وحدة الزمان والمكان ولا نشعر بترابط الأحداث أو تناميها. فكل فصل قائم بذاته وكل مشهد وحدة مستقلة ويصدر حبيبي مسرحية بحديث نبوي شريف يستخدمه عنوانها "لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن لكع " واللكع هو اللئيم والعبد والأحمق ومن لا يتجه نحو المنطق ولا غيره. وكان الكاتب يشير إلى نهاية الحاكم المتسلط ودنو نصر الشعب، والإهداء إلى حنين وفرح (حتى يكون اللقاء بينهما فرحاً) فالأول الفلسطيني تحت الاحتلال والثاني هو الفلسطيني عبر الحدود، ويتعزز الإهداء بمقطع من قصيدة لتوفيق زياد تتصدر المشهد الأول من

الجلسة الأولى أنا معكم أشد على أياديكم وأبوس الأرض تحت نعالكم / وأقول أفديكم/ فمأساتي التي أحيا نصيبي من مآسيكم.

موسوعة الفلسطينية مجلد 4 خاص ص 233 محمود شريح ويعلن إميل حبيبي في المشهد الأول من الجلسة الأولى خروجه عن المألوف في البناء المسرحي "لا مسرح ولا من يتعبون. بل جمهور من أهل الحارة ونحن من أهلها يجتمعون لقضاء أمسية أسطورية مع صندوق العجب ويوضح الهوية "المتشائمة" للمسرحية فقد قيل لنا أن ثمن الفرجة على صندوق العجب رغيف من الخبز العربي الذي لأمر ما أبقوا على عروبة اسمه وقد وقعوا في هذا الإهمال الأمني حرصاً على الاضطهاد القومي الذي في البدء كان برغيف الخبز العربي في بلادنا أغلى ثمناً من الخبز الافرنجي بقرار من الدولة، وما أدراك ما الدولة قطعت عنه الإعانة الحكومية المقررة لسواه.

وبطلة الفصل الأول هي (بدور) أو مجنونة بدر وبدور هي الأرض والقضية والأم الرمز تحن إلى أبنائها وبطل الفصل الثاني هو بدوره رمز الانسان الفلسطيني الرافض للمساومة والمتشبث بأرضه، أما بطل الفصل الثالث فهو (المهرج) رمز الانسان العربي الذي يعاني التشرد والغربة ولأسماء الشخصيات الأخرى دلالات عميقة، فسعدي هو الإنسان العربي وسعادية هو اليهودي وبدران وبدرية وبيدر هم رمز الشباب العربي الواعي، وأبو شارب هو رمز الفلسطيني الواعي وأبو شاربين رمز الفلسطيني المندفع وشارب الدم رمز الفلسطيني المتطرف وشهرزاد دلالة على البرجوازية العربية والسندباد يرمز إلى الشعوب العربية وقلب الأسد للصهيونية المتعفنة. وست الحسن والجارية نموذج للإمبريالية وهؤلاء كلهم يشتركون في صندوق العجب أو صندوق العجائب يصوروا ثلاثة عقود من التحول السياسي العنيف الذي طرأ على فلسطين وأهلها وجوارها، ولغة المسرحية نستفيد من التراث الشعبي ولاسيما قصة الزير سالم أبي ليلى المهلهل الكبير" فتظهر اقتباسات حبيبي منها ويبرز تأثره بها حين يلجأ إلى السجع والجناس والتلاعب.

ومن رواد الفن السينمائي في الوطن العربي آل لاما من بيت لحم.

قام السيد عبدالله إبراهيم الأعمى من بلدته بيت لحم مهاجراً إلى تشيلي في أمريكا الجنوبية وتزوج من امرأة فلسطينية مهاجرة اسمها (ليزا خليل بشارة) في عام 1850) وأنجبت له ثلاثة أبناء "عيسى، إبراهيم، بدر)، وقد تعلم إبراهيم وأخوه فن التمثيل والكتابة والإخراج وقررا التوجه إلى حيفا بفلسطين ليؤسسا مركزاً للتمثيل هناك وسافرا بحراً في باخرة قاصدين مصر أولاً وعند اقترابهم من ساحل الإسكندرية تعرض بدر لوعكة صحية، فنزلا إلى المدينة للعلاج فاستأجرا بيتاً فيها وطاب لهما المقام وقررا العمل بالسينما المصرية فأسسا شركة " كوندور فيلم" عام 1927 في الإسكندرية لعمل أفلام سينمائية مصرية تصور في مصر.

كان أول فيلم قدماه فيلم روائي مصري صامت في تاريخ السينما المصرية وهو (قبلة لأفلام والفنانين السينمائيين) في مطلع القرن العشرين وتحديداً في العقد الثالث ظهر الأخوان بدر وابراهيم الاما اللذان اتخذا مهنة التمثيل والتصوير والإخراج السينمائي وذلك في تشيلي بأمريكا الجنوبية وعمدا إلى العودة للعمل في موطنهما فلسطين وإليك عزيزي القارئ نبذة قصيرة عن جهودهما وما قدماه من ولادة التمثيل السينمائي:

- بدر عبد الله إبراهيم الأعمى (لاما) ولد بتشيلي في 1907/4/23 وهو ممثل سينمائي فلسطيني هاجر في بداية حياته الى أمريكا الجنوبية ثم رجع مع أخيه ابراهيم إلى مصر بالباخرة ومعهم المعدات والكاميرات وكل ما توفر لهم من أجهزة للعمل في حيفا، ولكن بسبب مرض بدر توجهوا إلى الإسكندرية للاستشفاء وهناك استقرا وكونا ثنائياً ناجحاً وعملا معاً في الكتابة والتمثيل والإخراج ثم أسسا سوياً شركة إنتاج سينمائي تدعى كوندر فيلم، وعقب انتهائه من فيلم (البدوية الحسناء) في عام 1947 أصيب بدر لاما بذبحة صدرية توفي على أثرها في 1947/10/1. وقد أقام أهالي بيت لحم حفلة تأبين لإحياء ذكراه. وبعد وفاة بدر: اختار إبراهيم ابنه سمير عبد الله ليحل محل عمه بدر فشارك سمير بطولة فيلم (الحلقة المفقودة) مع الممثلة الشابة الصاعدة فاتن حمامة في عام 1948، كما الممثلة عفاف شاكر في فيلم (سكة السلامة) في عام 1949 والفنانة شادية في فيلم (عاصفة في الربيع) في عام 1951 والممثل بشارة واكيم في فيلم (كنز السعادة) والممثلة ماجدة والممثل محمود المليجي في فيلم (القافلة تسير).

وفي غفلة من الزمن اندلعت النيران والتهمت جميع محتويات أستوديوهات لاما بما فيها من أشرطة أفلام وتوالت النكبات على العائلة ودب الخلاف بين ابراهيم وزوجته انتهى بموت ابراهيم في ليلة 12 مايو 1953، وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات انتهت بختمها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة أما جوزفين سركيس (بدرية رأفت) أرملة المرحوم بدر.

فلم تقم الا بدور بطولة واحد في فيلم (اللقاء الأخير) في عام 1953 مع عماد حمدي ومحسن سرحان وزهرة العلا ثم اعتزلت السينما لتكرس حياتها لبناتها وأحفادها. أما سمير عبد الله ابراهيم لاما وبالرغم من محاولاته المتكررة في العمل السينمائي بما فيه تجربته القصيرة في لبنان في الستينات من القرن العشرين كأفلام (وادي الموت) و(صقر قريش) (القاهرون) إلا أن الحظ لم يحالفه فاعتزل العمل السينمائي.

أهم أفلامهم السينمائية:

- 1927 قبلة الصحراء 1935 معروف البدوي

- 1928 فاجعة فوق الهرم 1936 الهارب.
- 1931 معجزة الحب 1937 عز الطلب
- 1934 شبح الماضي 1938 نفوس حائرة
- 1939 الكنز المفقود (قيس وليلى) 1944 عريس الهنا
- 1940 رجل دين بين امرأتين 1945 البيه المزيف
- 1941 صلاح الدين الأيوبي 1947 البدوية الحسناء
- 1942 ابن الصحراء

إبراهيم لاما سبق لأبيه عبد الله إبراهيم سعيد الأعمى، حارة الفرحية في بيت لحم ولد فيها في منتصف الصحراء) إذ عرض في سينما " الكوزموجراف" في الإسكندرية.

وفي عام 1930 انتقل الأخوان إلى القاهرة بعد أن اتسعت مشاريعهما السينمائية وبعها قدما فيلمهما الثاني (فاجعة فوق الهرم) عام 1928 بطولة بدر لاما وفاطمة رشدي ثم أسسا استوديو لاما.

إبراهيم لاما هو أول من صور في غابات السودان وكينيا وأحراشها ليصور فيلمه (الحلقة المفقودة) عام 1948 والقافلة تسير عام 1951.

قدم إبراهيم لاما للسينما المصرية 30 فيلماً خلال 24 سنة وعمل مع كبار النجوم مثل" فاطمة رشدي، آسيا داغر، ماري كويني، بهجة حافظ، زكي رستم، أمينة رزق، بديعة مصابني، رجاء عبده، مديحة يسري، ليلى فوزي، شادية، بالإضافة إلى شقيقه بدر وابنه سمير.

تعرض الإستوديو لحريق والتهمت النيران كل محتويات أستوديوهات لاما من أشرطة الأفلام وتوالت النكبات وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات ثم تبعها إغلاقها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة.

دب الخلاف بين إبراهيم وزوجته وانتهى بموت ابراهيم (انتحاراً) في ليلة 1953 بعد أن أطلق النار من مسدسه على زوجته ثم أطلق النار على نفسه وانتحر.

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية خاص ج2 ص 233 محمود شريح
(2) الموسوعة الفلسطينية خاص ج5 ص 25
(3) الموسوعة الفلسطينية خاص ج5 ص 164

الفصل العاشر

انتفاضات شعب فلسطين

لقد عرضنا ما قام به الانتداب البريطاني في فلسطين وشعبها العربي من نشاطات لتثبيت وعد بلفور وقهر أصحاب البلاد.

لكن الوضع بعد الانتداب ما فعلته الدولة المحتلة بشعب فلسطين الذي بقي فيها والذي يقال عنهم عرب 1948 وكان عددهم 120ألف نسمة مارست معهم ما يلي:

سمتهم السلط المحتلة بسكان 1948 واعطتهم الجنسية الإسرائيلية ونفت عنهم الجنسية الفلسطينية التي كانوا يتمتعون بها رسمياً زمن الانتداب وكان هذا القرار إجحافا فرضوه عليهم وجعل حياتهم في جحيم، وقد رأت السلطة بأن الرأي العام العالمي بات يميل شيئا نحو العرب وأزاح عنهم الأحكام العسكرية ومنحهم حرية الحركة والعمالة المقننة والتعامل بالتجارة والصناعة وأعطت لبعض القرى تأسيس بلدياتها وتأمين الميزانية المتواضعة في إحداث المرفق الأساسية من كهرباء وماء وهاتف. وكان هذا العطاء لا يبيح بالبناء إلا عن طريق رخصة رسمية من السلطات وكانت الرخصة تكلف صاحبها الكثير من الوقت والمال وفي بعض الحالات يأتي الرد بالرفض .

لقد تجلت العنصرية في أعلى مراتبها بكل عواملها نذكر بعضها وما أكثر:

- العمالة في الوظائف والعمال هناك تمييز بين المواطن العربي والمستوطن في الوظيفة ولو تساوت المؤهلات وكذلك بالعمالة ولو تساوت الخبرات أو زادت قدرات الفلسطيني الذهنية والمهنية.
- هناك تمييز بين الرواتب فالمستوطن يحصل على راتب أعلى من نظيره العربي في المهنة والمؤهلات.
- التعليم تعامل السلطات ا لتعليم في أراضي عام 1948 معاملة من الدرجة الثانية بالبناء بالمرافق فيها ثم الميزانية المقدرة لكل منهما في المدارس العربي ومدارس المستوطنات.
- تعاني البلدات العربية من نقص في الأراضي المخصصة للبناء لأن السلطات صادرت أكثر أراضي القرية وأعطت القسم الأكبر للمستوطنات.

- وضع النائب الفلسطيني بالكنيسيت: مع أن النائب العربي الممثل لأبناء شعبه بالقانون يحق له الدفاع عن طلبات من يمثلهم وقد أصبح عدد النواب من عرب فلسطين يمثلون كتلة موحدة لها كلمتها في لبرلمان الإسرائيلي رغم القرارات التي اتهم أعضاء المجلس الطابور الخامس وآخرون بالقنبلة الموقوتة وتم طرد بعضا منهم.

وبعد احتلال "إسرائيل" الضفة الغربية وقطاع غزة، حاولت السلطات الإسرائيلية فتح باب اللقاء بين الضفة والقطاع مع إخوانهم العرب في "إسرائيل" طمعاً بتأثير هؤلاء على (سكان عام 1948) على أخوتهم في الضفة والقطاع للتحول نحو "إسرائيل" ولم يمضِ سوى شهور قليلة وقد تبين لهم أن أملهم ضاع هدراً وسرعان ما وجدوا عكس ما خططوا له، وأن باتت العواطف العربية تتلاقى ولم يتغير عند أخوتنا أي شعور بحب فلسطين من أرض ونبات وحيوان وسكن وسكان وقد خاب ظنهم وسرعان ما أوقفوا هذه اللقاءات والتبادل بالسلع والمعدات وطبقت "إسرائيل" سياسة الحكم العسكري على الضفة والقطاع.

ولما واجهت المقاومة الاحتلال بكل مقوماته السياسية عن طريق رؤساء البلديات والمظاهرات بالضغط على هؤلاء بالنفي والسجن والاغتيال كاغتيال رئيس بلدية نابلس (بسام الشكعة) وهو إرهاب الدولة واشتدت المقاومة وتجلت بانتفاضة الحجارة الأولى مما أربكت السلطات العسكرية وكان ردها من القساوة كسر عظام المتظاهرين وموت الكثير برصاص العسكر أو إصابات بالغة بالرصاص المطاطي زد على ذلك بالسجون التي حوت الآلاف من المعتقلين حيت قيل (أنه لم يخل بيت في الضفة والقطاع ولم يدخل أحد أفراده السجن).

ومن نشاطات المقاومة بعض منها وما أكثرها وفي يوم الأرض في 30 آذار الموافق عام 1976 إذ شارك أبناء فلسطين في إضراب عام تضافرت فيه كل الفعاليات واطلق عليه يوم المساواة (السلام) وقد نظمته المناطق المحتلة عام 1948 ولجنة المتابعة للشؤون العامة لعرب "إسرائيل" وبدأت المسيرات من بلدة سخنين في الجليل الغربي وقد تخللتها أناشيد وهتافات لمنظمة التحرير الفلسطينية رغم تدخل بعض زعماء العرب السياسيون بعدم استفزاز سلطات الاحتلال إلا أنه مع ذلك برزت شعارات معادية لإسرائيل والمؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية على الجدران في قرى الجليل الأعلى وشفا عمرو وعكا وباتت ظاهرة رفع الأعلام الفلسطينية خبراً شائعاً تشير إليه الصحف.

وفي منتصف تشرين الثاني أقدمت السلطة الإسرائيلية على تدمير خمسة عشر بيتاً في قرية الطيبة، فأضرب العرب في "إسرائيل" إضراباً شاملاً وأطلقوا على إضرابهم هذا (يوم السكن) وقد ازادت الشعارات المعادية للاحتلال في كل مكان من سكان عام 1948.

- وفي حزيران عام 1067 احتلت "إسرائيل" بلدة أم الفحم وطردت مئات العائلات وحرمانهم العودة إلى منازلهم.

الانتفاضة الأولى:(انتفاضة الحجارة)

كانت انطلاقة الانتفاضة من مخيم جباليا في قطاع غزة في 9 آذار/ مارس 1987 إذ قام أهل المخيم وأهل القطاع عموماً بمظاهرات صاخبة، أثناء تشييع الشهداء الأربعة الذين سقطوا قرب حاجز إيرز حيث أطلق الجنود النار في جباليا فاستشهد شخصان وجرح ستة وعشرون بينهم أطفال، وفرض منع التجول على المخيم ومن أحيائها تطاير الشرر وعمت الانتفاضة كل القطاع، ثم امتدت إلى الضفة الغربية وإزاء المشهد اليومي هبت فلسطين المحتلة كلها تأييداً وتعاوناً وفي اليوم الثالث عشر للانتفاضة قام إضراب عام لم تشهد البلاد له مثيلا منذ بدء الاحتلال قبل أربعين سنة.

ابتدأ ذلك اليوم التاريخي بتلاوة القرآن الكريم في المساجد وقرع أجراس الكنائس وهذا التقليد نضالي معروف عن الآباء والأجداد ومنذ أن علت أصوات المآذن ونواقيس الكنائس بالرنين انطلقت الجماهير في هذا اليوم التاريخي في كل المدن والقرى والمخيمات في الضفة والقطاع تهتف للجهاد في سبيل أحياء فلسطين كما خرجت جماهير الأرض المحتلة عام 1948 في الناصرة وحيفا وعكا وصولاً إلى صحراء النقب، وقد شارك أهلنا في الجولان بهذه الانتفاضة واصطدموا في مجدل شمس بالشرطة الإسرائيلية واستمراراً للانتفاضة وفي ذكرى معركة الكرامة في 21 آذار/مارس إذ رفعت أعلام فلسطين وأقيمت المتاريس في ظل إضراب شامل مثلما جرى في أم الفحم وقلقيلية وتحديهما للحصار العسكري والتمويني الذي فرض عليهما منذ تسعة أيام وقد تمكنت المجموعات المقاومة بوضع المتاريس المزدانة بالأعلام والشعارات الوطنية، وقد قابلت السلطات الإسرائيلية كعادتها بالعنف والاعتداءات من ملاحقة واعتقالات.

وكانت نتائج ما قدمه الفلسطينيون من الضحايا (1162 شهيد بينهم حوالي 241 طفلاً ونحو 90 ألف جريح ومصاب و 15 ألف معتقلاً وتدمير 1228 منزلاً واقتلاع 140 ألف شجرة من الحقول والمزارع الفلسطينية، كما تم اعتقال 60 ألف أسير من القدس والضفة وقطاع غزة وعرب الداخل بالإضافة إلى الأسرى العرب ولاستيعاب هذا العدد الهائل أفتتحت "اسرائيل" سجون مثل سجن كتسيعوت في صحراء النقب والذي أفتتح عام 1988.

وقد قتل من الإسرائيليين 160 فلسطينياً بينهم خمسة أطفال، حققت الانتفاضة الأولى نتائج سياسية غير مسبوقة، إذ تم الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني عبر الاعتراف الإسرائيلي الأميركي بسكان الضفة والقدس والقطاع على أنهم جزء من الشعب الفلسطيني وليسوا أردنيين.

أدركت "إسرائيل" أن للاحتلال تأثير سلبي على المجتمع الفلسطيني كما أن القيادة العسكرية أعلنت عن عدم وجود حل عسكري للصراع مع الفلسطينيين، مما يعني ضرورة البحث عن حل سياسي بالرغم الرفض الذي أبداه رئيس الوزراء إسحق شامير عن بحث أي تسوية سياسية مع الفلسطينيين.

أدت هزيمة صدام حسين خلال حرب الخليج الثانية إلى ارتياح في داخل المجتمع الإسرائيلي مما يعني نهاية تهديد محتمل من "الجبهة الشرقية" واستبعاد فكرة احتمال تشكيل قوات تحالف عربية لمهاجمة إسرائيل، مما أدى إلى تغير الشعور الإسرائيلي بالتهديد فاكتسبت إسرائيل القدر الكافي من الثقة الذي يمكنها من القيام بمبادرات سياسية أكثر خطراً على العرب عندما قام الابن جورج بوش استخدام نتائج الحرب على نقطة انطلاق لعملية سلام بين العرب والدولة العبرية والدول قرار الجامعة العربية، فجاء مؤتمر مدريد الذي شكل بداية لمفاوضات السلام الثنائية بين وإسرائيل التشاور مع الفلسطينيين حكم ذاتي.

تم إجراء بعد ذلك عدد من المفاوضات غير العلنية بين الفلسطينيين والإسرائيليين في التي أدت إلى التوصل لاتفاق أوسلو الذي أدى لانسحاب إسرائيلي تدريجي من المدن الفلسطينية، بدأً بغزة أريحا عام 1994، وتواصل مع باقي المدن الخليل وقلب مدينة القدس، مما يتنافى مع الاتفاق.

كان أن قد سبق التوقيع تبادل عدد من الرسائل بين ياسر عرفات وإسحق رابين تعترف فيه منظمة التحرير بحق المنظمة إلغاء الإرهاب وبحق إسرائيل بالوجود، المقصود به مقاومة الاحتلال من وجهة النظر الإسرائيلية، في المقابل تلتزم إسرائيل بإيجاد حل سلمي للنزاع الفلسطيني الإسرائيلي واعترفت بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل الشعب الفلسطيني.

تم إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية التي أصبحت لها السيادة مكان الإدارة المدنية الإسرائيلية تنفيذاً للاتفاقات الموقعة.

في سبتمبر من عام 1995 تم توقيع اتفاق جديد سمي بأوسلو 2 وتضمن توسيع الحكم الذاتي الفلسطيني من خلال تشكيل أي وهو هيئة حكم المجلس الوطني 20 كانون سنة 1965 تم إجراء أول انتخابات رئاسية وتشريعية فلسطينية إلى السلطة الفلسطينية في آب/ أغسطس من عام 2004 وتم نقل الصلاحيات والمسؤولية إلى ممثلين فلسطينيين في الضفة الغربية في خمسة مجالات محددة: التعليم والثقافة، الصحة، الرفاه الاجتماعي، الضرائب المباشرة والسياحة.

الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى)

في مطلع عام 1999 ساد شعور عام بالإحباط عند الفلسطينيين لانتهاء الفترة المقررة لتطبيق الحل النهائي بحسب اتفاقية أوسلو والشعور بخيبة الأمل بسبب المماطلة وجمود المفاوضات بين الطرفين الفلسطيني والصهيوني بعد مؤتمر قمة كامب ديفيد والتي توضح أن محاولة "اسرائيل" بدعم من الولايات المتحدة فرض حل على الفلسطينيين بعيداً عن قرارات الأمم المتحدة والشرعية الدولية بقراراتها (194، 338، 242) تلك إلى جانب عدم تطبيق "إسرائيل" إلى عدد من الجوانب التي اتفق عليها في أوسلو أو الاتفاقيات والمفاوضات اللاحقة.

واستمرار الصهاينة في سياسة الاغتيالات والاعتقالات والاجتياحات لمناطق السلطة الفلسطينية ورفض الإفراج عن الأسرى بالإضافة الى استمرار بناء المستوطنات واستبعاد عودة اللاجئين واستبعاد الانسحاب لحدود عام 1967 جعل الفلسطينيين بفشل واستحالة الاتفاق مع الصهاينة والمحادثات مضيعة للوقت وفي ظل هذا الشعور العام بالإحباط والاحتقان السياسي قام رئيس وزراء "إسرائيل" الأسبق آرييل شارون باقتحام المسجد الأقصى وتجول في ساحاته وقال أن الحرم القدسي سيبقى منطقة اسرائيلية مما أثار استفزاز المصلين الفلسطينيين فاندلعت المواجهات بين المصلين وجنود الاحتلال في ساحات المسجد الأقصى فسقط سبعة شهداء وجرح 250 وأصيب 13 جندي إسرائيلي وكانت هذه بداية، انتفاضة الأقصى.[33]

بدأت الانتفاضة في 28-9-2000 وتوقفت فعلياً في 8-2-2005 بعد اتفاق الهدنة التي عقدت في شرم الشيخ والذي جمع الرئيس الفلسطيني الجديد المنتخب حديثاً ورئيس وزراء اسرائيل آرييل شارون.

وتميزت هذه الانتفاضة عن سابقاتها بالعنف المسلح وتصاعد الأعمال العسكرية بين المقاومة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي راح ضحيتها 4412 شهيداً فلسطينياً وجرح 48322 جريح وأما خسائر الجيش الإسرائيلي 334 قتيلاً ومن المستوطنين 735 قتيل ليصبح مجموع القتلى الصهاينة 1069 قتيل و4500 جريح وعطب 50 دبابة من نوع ميركافا وتدمير عدد من الجيبات العسكرية والمدرعات.

تعرضت مناطق الضفة الغربية وقطاع غزة خلالها باجتياحات إسرائيلية منها عملية الدرع الواقي وأمطار الصيف والرصاص المصبوب.

[33]: الموسوعة الفلسطينية خاص مج5 ص 25

من نتائج انتفاضة الأقصى:

- تصفية معظم الصف الأول من القادة الفلسطينيين (ياسر عرفات، أحمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي، وأبو علي مصطفى).
- تدمير البنية التحتية الفلسطينية، تدمير مؤسسات السلطة، تدمير ممتلكات المواطنين واستشهاد عدد كبير من أبناء فلسطين.
- بناء الجدار العازل وآثاره المدمرة على الشعب الفلسطيني المعذب تحت رعاية الأمم المتحدة المنافقة وتبريكات بعض حكام العرب المنبطحين خوازيق الزعامة الصهيونية.
- تطوير المقاومة للصواريخ كماً ونوعاً وفشل إسرائيل في قضائها على المقاومة بتأليب بعض الحكام من العرب ضد المقاومة وفرض حل على الفلسطينيين حسب مخططات إسرائيل في تصفية القضية وحرمان أهل فلسطين من حقوقهم وابادتهم وتذويبهم في المجتمعات الأخرى لكن مكرهم سيرتد عليهم والتاريخ لا يرحم المستبدين والعنصريين وشعب فلسطين سيظل الشوكة التي تنغص حياتهم والعاقبة للمتقين الصابرين.

نتائج انتفاضة الأقصى على الإسرائيليين:

1) انعدام الأمن في الشارع الإسرائيلي بسبب العمليات الاستشهادي.
2) ضرب السياحة في إسرائيل بسبب العمليات العسكرية.
3) اغتيال وزير السياحة الإسرائيلي (زئيفي) على يد أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.
4) إلحاق عدد من القتلى الإسرائيليين بسبب اجتياحات المدن الفلسطينية والاشتباكات مع المقاومة.
5) مقتل قائد وحدات الهبوط المظلي الإسرائيلي (الكوماندوس) في معركة مخيم جنين.
6) تحطيم مقولة الجيش الذي لا يقهر في معركة مخيم جنين الذي قتل فيه جندي إسرائيلي وجرح 1422.
7) ضرب اقتصاد المستوطنات الإسرائيلية لقد تفاعل الشارع العربي مع الانتفاضة لدرجة أن دولاً لم تعرف المظاهرات مثل دول الخليج خرجت فيها مظاهرات تأييدا للانتفاضة وهو ما أحرج الأنظمة العربية التي عقدت بعدها مؤتمراتها المنافقة لتخدير الناس ولا زالت.

الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى

حاولت وتحاول "إسرائيل" توظيف الصراعات العربية بعضهم ببعض فجمدت مفاوضات السلام التي نبذتها ورأت أن الوضع يخدم طموحاتها وأخذت تسرع بسلخ الأراضي من القرى المراد إقامة المستوطنات عليها ونشط الاستيطان رغم استنكار دول العالم بما فيها الأمم المتحدة ربيبة الاستعمار هذه الأيام وطاب لحزب الليكود ورئيسه مع الإرهابي الصهيوني نتينياهو وليبرمان العنصري رؤية خذلان القادة العرب وتآمرهم معهم على المكشوف مع عدو العرب وتعاون مخابراتهم مع من يكرهون شعوبهم.

إذ أخذ البعض منهم يمارس الضغط على المقاومة الفلسطينية وينعتهم بالإرهابيين فزادت سلطة الاحتلال من جبروتها وتابعت عدوانها السافر على الفلسطينيين بزيادة نهب الأراضي ونسف البيوت ومهاجمة وتعذيب السكان بالجملة حتى سكان 1948 لم يسلموا من التنكيل باعتبارهم عرب وأطلقت العنان لعصاباتها من المتشددين العبث بأملاك وأرواح عرب فلسطين بغية تطفيشهم من حرق بيوت مع ساكنيها وحرق شجر الزيتون وقطع اشجار الفواكه وتجريف التربة والاعتقال المبرمج للنشيطين آخرها يوم الجمعة في 14 تموز/ يوليو 2017 إغلاق المسجد الأقصى المبارك الذي يعتبر عند المسلمين أول القبلتين وثالث الحرمين وتصريحاتهم العدوانية والاستفزازية لأهل فلسطين وتصميمهم في تهويد كل فلسطين والأمم المتحدة خانعة لا تقوى على نصرة المظلوم بأمر من الولايات المتحدة الأمريكية والأغرب من ذلك من رؤساء الغرب أنهم يطلقون التصريحات في انتقاد "إسرائيل" على ما تقوم به ويتجاهلون ممارسة الرد عليها عملياً.

وقد قام شعب فلسطين بالداخل والخارج متحديا سلطات الاحتلال والتزم المقدسيون واحتشدوا أمام مسجدهم وأدوا صلاة الجمعة حول أبوابه واشتبكوا مع القوات الإسرائيلية بصدورهم وأجسادهم وأيديهم الفارغة في مقاومة أسلحة الجنود الفتاكة طالبين الشهادة ويبرهنوا للعالم أجمع أن حرمة الأقصى أغلى من الروح والجسد وقابلت سلطات الاحتلال كعادتها هذا التحدي بزيادة العنف بإصابات من قنابل الدخان والرصاص المطاطي والاعتقالات ومضاعفة الجرحى وشعب القدس صامد ووراءه أهله في فلسطين، لم يعرف الغرب بعد بأن الصهيونية باتت عبئا عليهم وقد يأتيهم دور ما حل بالزعامات العربية من ذل واحتقار حتى قام بعض الساسة في الولايات المتحدة يشعرون بسطوة منظمة (آيباك) الأميركية الصهيونية على الحكم ودورها باحتلال الكونغرس, والبنتاغون ثم البيت الأبيض هذه الأيام.

إن حركة التاريخ عبر الزمان والمكان تثبت لنا بأن الأحداث تتشابه في كثير من الأحيان ويبقى التغيير في النظم حاصلاً والعدل والمساواة ونبذ الظلم وتحقيق العدل هو سمة البشر ضد الأشرار.

المراجع:

(1) الوسوعة الفلسطينية خاص ج6 ص 1006 شفيق الحوت وبيان نويهض

(2) الوسوعة الفلسطينية خاص ج6 ص 1008 شفيق الحوت وبيان نويهض

المصادر والمراجع

- بلاطة، كمال. **الموسوعة الفلسطينية المجلد 4**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- الخالدي، رجا. **الموسوعة الفلسطينية خاص المجلد 1**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- الدباغ، مصطفى. "**بلادنا فلسطين– القسم الأول– الجزء الأول**"، بيروت: دار الطليعة، 1965.
- الدباغ، مصطفى. "**بلادنا فلسطين– القسم الثاني– الجزء السابع**"، بيروت: دار الطليعة، 1965.
- سحاب، فيكتور. **الموسوعة الفلسطينية خاص المجلد 4**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- عبد السلام، عادل. **الموسوعة الفلسطينية– المجلد 1**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- عبد القادر صالح، حسن. **الموسوعة الفلسطينية مجلد خاص**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- عبد القادر، حسن. **الموسوعة الفلسطينية مجلد خاص**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- الماضي، مروان. **أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير**، عمان: دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 2001.
- الماضي، مروان. **الإمبريالية الصهيونية والتمييز العنصري**. دمشق: دار الفكر، 2005.
- **الموسوعة الفلسطينية– المجلد 1**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- **الموسوعة الفلسطينية– المجلد 2**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- **الموسوعة الفلسطينية– المجلد 3**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- **الموسوعة الفلسطينية– المجلد 4**، رام الله: هيئة الموسوعة الفلسطينية، 1984.
- موقع فلسطين في الذاكرة http://www.palestineremembered.com
- انترنت الشاهد alshahidkw.com
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

المؤلف في سطور

- ثانوية عامة آداب (اجتماعيات).
- بكالوريوس آداب قسم (الجغرافية).
- دبلوم عام في التربية من جامعة دمشق.
- شهادة في التوجيه التربوي أونروا/ يونيسكو.
- شهادة تربوية في تدريب المعلمين أثناء الخدمة.

الأعمال التي شغلها:

- معلماً للابتدائي والإعدادي والثانوي ومدرساً لمادة التقنيات التربوية في كلية التربية بجامعة دمشق.
- مدرب للمعلمين في مدارس الأونروا في تدريس مادة الاجتماعيات لمدة 23 سنة.
- مشرف على إدارة دورات التوجيه والإرشاد في مدارس الأونروا في مدارس الوكالة، وموجهاً لمادة الاجتماعيات في مدارس الأونروا لمدة أربع عشرة سنة.
- عمل موجه لمادة الوسائل السمعية والبصرية في مدارس الأونروا لمدة سبع سنوات.
- أمين صندوق في رابطة الطلاب الفلسطينيين في سورية لمدة سنتين (اتحاد طلاب فلسطين).
- أمين سر الجمعية الجغرافية الفلسطينية في سورية.
- عضو باتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين العرب في سورية

مؤلفاته:

1) بلدة كفرسوسة (رسالة جامعية للتخرج).
2) قرية إجزم.
3) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير.
4) الإدارة الأميركية المحافظة وتسيس نبوءات التوراة.
5) الإمبريالية المتصهينة والتمييز العنصري.
6) مذكراتي.

كتب قيد النشر			
مشروع قرى وبلدات فلسطين أصبحت مدناً بالتعاون مع موسوعة القرى الفلسطينية			
الطيبة	أم الفحم	قلقيلية	شفاعمر
برقة نابلس	باقة الشرقية	عرابة البطوف	بيت أمر
سخنين	طمرة	دالية الكرمل	بعنة
إكسال	طرعان	أبو سنان	أرطاس
أولي الخليل	إذنا الخليل	الرامة	الرينة
بلدة الشيوخ	الفريديس	اللقية النقب	بلدة المشهد
بلدة المغار	باقة الغربية	بدية	برقين
بلاطة نابلس	بلعا طولكرم	بني نعيم	بورين
بيت ساحور	بيت فجار	بيتونيا	بير زيت
ترقونيا	ترمسعيا	تل السبع	جسر الزرقاء
جلجولية	جماعين	جولس	حلحول الخليل
حوارة نابلس	حوارة النقب	دبورية	دير إستيا
دير الأسد	دير حنا	سعير الخليل	سلواد
سنجل	شعب	شعفاط	سقيف سلام
شويكة	صوريف	طمون	طوبا الزنجرية
عبسان	عتيل	عزون	عسفيا
عصيرة الشمالية	عقرباء نابلس	عنبتا	عورتا نابلس

عين ماهل	قبلان النابلسية	قفين	كفر الديك
كفر ثلث	كفر قاسم	كفر قدوم	كفر قرع
كفر كَنا	كفر ياسيف	مجدالكروم	ميثلون
نعلين	عيلبون	كفر راعي	جديدة عكا والمكر
بيت جالا	بيت حنون	بيت حنينا	بيت عمر التحتا
خان يونس	دير البلح	دير دبوان	دير غساني بيت ريما
سلفيت	سيلة الحارثية	سيلة الظهر	طوباس
عارة وعرعرة	عرابة جنين	عرعرة النقب	علار طولكرم
كابول	كفر مندا	بلدة السموع	بني سهيلا
بيت لاهيا	جباليا	دورا الخليل	راهط
رفح	سلوان	طيرة المثلث	قلنسوة
كسيفة	يعبد	يافا الناصرة	يطا